

الرجال (أى أخافهم) فها هو إلا أن رأيتك فذهب عقلي وذهبت، ثم اطلعت على ما هممتُ به مما لا يعرفه أحد، فعرفت أنك ممنوع، وإنك على حق، وإن حزب أبي سفيان حزب الشيطان، فجعل النبي ﷺ يبتسم، فخرج الرجل ولم يسمع له بذكر.

وبعث رسول الله عمرو بن أمية الضمري ومعه سامة بن أسلم أو غيره إلى أبي سفيان، وقال أن أصبتما منه غرة فاقتلاه، فدخلا مكة ومضى عمرو يطوف بالبيت ليلاً، فرآه معاوية بن أبي سفيان فاخبر قريشاً، فكانه يخافوه وطلبوه وكان فاتكافى الجاهلية، فشد له أهل مكة وتجمعوا، فهرب عمرو وصاحبه، ولقي رجلاً من تيم فقتله وقتل آخر من بني الدليل، وآخرين من قريش، بعثتهما يتجسسان الخبر، فقتل أحدهما واسر الثاني فقدم به للمدينة، فجعل عمرو يخبر رسول الله خبره وهو يضحك، ثم دعا له بخير.

## أمر الحديبية

وبيعة الرضوان وصلاح قريش

الحديبية . بئر أو شجرة أو قرية على مرحلة أو تسعة أميال من مكة غرباً — وأكثرها في الحرم  
خرج رسول الله في آخر سنة ست متعمراً لا يريد حرباً، لأنه رأى في منامه أنه دخل البيت هو وأصحابه آمنين، محلقين رؤوسهم ومقصرين، واستنفر العرب ومن حوله من أهل البوادي من الأعراب ليخرجوا معه، وهو يخشى من قريش الذي صنعوا: أن يعرضوا له

بموجب أو يصدوه عن البيت ، فأبطأ عليه كثير من الأعراب ، فخرج  
من معه من المهاجرين والأنصار ومن تبعه من البدو ، وساق معه  
الهدى وأحرم بالعمرة ، ليأمن الناس من حربه ، وليعلموا أنه إنما  
خرج زائراً لهذا البيت ومعظماً له - وكان الناس سبعمائة ، أو أكثر  
إلى ألف وأربعمائة ، وهو أصح ، وكان مسافه من الهدى سبعمين  
بدنة ، ولم يخرج معه بسلاح ، إلا سلاح المسافر ، السيوف في القرب ،  
فإنما كان بذي الحليفة قبل الهدى وأشعر وأحرم منها بعمرة ، وبعث  
عيناله من خزاعة وهو بسر بن سفيان الكعبي - وسار رسول الله  
بالناس من الطريق الغربي حتى إذا كان بعسفان لقيه بُسر  
فقال له : يا رسول الله هذه قريش قد سمعت بمسيرك فخرجوا ،  
معهم العوذ المطافيل ، قد لبسوا جلود النمر ، وقد نزلوا بذي طوى  
( غربي مكة ) يعاهدون الله ألا تدخلها عليهم أبداً ، وهذا خالد بن  
الوليد في خيلهم قد قدموها ( والعوذ ذوات الالبان ، والمطافيل ذوات  
الاطفال ) ، يريد النوق أو النساء أخرجهن معهم ، بأولادهم ، ليكون  
أدعى إلى عدم الفرار - فقال له النبي : يا ويح قريش لقد أكلتهم الحرب ،  
ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر العرب ، فإن هم أصابوني ، كان الذي  
أرادوا ، وإن أظهرني الله عليهم ، دخلوا في الإسلام وافرين ، وإن لم  
يفعلوا قاتلوا وبهم قوة ، فما تظن قريش ، فوالله لا أزال أجاهد على  
هذا الذي بعثني الله به ، حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة ، ( وهي  
صفحة العنق كنى بها عن الموت أو القتل ) .

ثم قال من رجل يخرج بنا على غير طريقهم التي هم بها ؟ فلهضم

رجل من أسلم على الطريق الذي سلكوه ، وكان وعراً أجراً بين شعاب ،  
فأما قطعوه أمرهم رسول الله أن يسلكوا ذات اليمين في طريق ثنية  
المرار مهبط الحديدية من أسفل مكة ، فلما رأَت خيلُ قريش أنهم  
قد خالفوا طريقهم رجعوا راكضين إلى قريش منذرين

وبركت ناقة رسول الله القصد ، فقال الناس خلات ( حَرَنت )  
قال ما خلات وما هو لها بخلق ، ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة ،  
ومناسبة ذلك التشبيه بقصة الفيل ، إن الصحابة لو دخلوا مكة على هذا  
الحال ، لسفكت دماء ونهبت أموال ، كما لو قدر دخول أصحاب الفيل ،  
ولكن سبق في علم الله تعالى ألا يحصل شيء من هذا حرصاً على فريق  
من أهل مكة أشار الله إليهم بقوله . ولولا رجال مؤمنون ، ثم قال  
رسول الله ﷺ والذي نفسي بيده لا تدعونني قريش اليوم إلى خُطَّة  
يسألوني فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها ، ثم زجرها فوثبت ، ثم قال  
لصاحبه انزلوا ، فقالوا ما بالواذى ماء ، فدفعهم على ناحية وطريقة حصلوا  
بها على الماء فشربوا وشربت إبلهم حتى صدروا منه

ثم أن بُدَيْل بن وَرْقَاء الخزاعي جاء رسول الله في رجال من  
خزاعة وسألوه ما الذي جاء به ؟ فأخبرهم أنه لم يأت يريد حرباً ، وإنما  
جاء زائراً للبيت ، ثم قال لهم نحو ما قال لبسر ، فرجعوا إلى قريش  
وقالوا لهم : انكم تدعجون على محمد ، إن محمداً لم يأت لقتال ، وإنما يأتى زائراً  
لهذا البيت ، فاتهموهم وحببهم وقالوا : وإن كان جاء لا يريد قتالاً ، فوالله  
لا يدخلها علينا عنوة أبداً ، ولا نتحدث بذلك عنا العرب أبداً ، وكانت  
خزاعة عيبة ( موضع ) نصيح للرسول « كما سلف » مشركها وكافرها

لا يخفون عنه شيئاً كان بمكة . والاصل في ذلك أن نبي هاشم في الجاهلية كانوا تحالفوا مع خزاعة ، فاستمروا على ذلك في الاسلام .

وبعثت قريش الى النبي رجلاً من بني عامر بن لؤي فقال له النبي نحوا مما قال لبديل وأصحابه ، فرجع الى قريش فأخبرهم .

ثم بعثوا سيد الاحابيش الحليس بن علقمة ، فلما رآه الرسول قال ان هذا من قوم بتألهون ، فابعثوا الهدى في وجهه حتى يراه ، فبعثوا واستقبلوه بالتلبية ، فلما رأى ذلك قال سبحان الله : ما ينبغي لهؤلاء ان يصدوا عن البيت ، ورجع الى قريش ولم يصل الى الرسول إعظاماً لما رأى ، فقال لهم : رأيت البدن قد قُلت وأشعرت فما أرى أن يصدوا عن البيت ، فقالوا له : اجلس فما أنت الا عرابي لا علم لك ، فقال : والله ما على هذا حالناكم ، أليصد عن بيت الله من جاء معظماً له ؟ والذي نفس الحليس بيده لتُخَنَّ بين محمد وبين ما جاء له ، أو لا نفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد ، ( وهذا أول التخاذل ) فقالوا له كف عنا ، حتى تأخذ لا نفسنا ما نرضى به .

ثم بعثوا الى النبي عروة بن مسعود الثقفي ، فقال لهم : أسمع منكم ما أكره ، فقالوا ما أنت عندنا بهمهم ، فخرج الى النبي فجعل يكلمه فقال له نحوا مما قال لبديل ، فقال عروة عند ذلك : يا محمد أجمت أو شاب ( أخلاط ) الناس ثم جئت بهمهم الى بيضتك لتفضها بهمهم ؟ إنها قريش قد خرجت معها العوذ المطافيل ، ثم قال وايم الله لكأني بهؤلاء قد انكشفوا عنك غداً ، فشتمه أبو بكر وقال . انحن نفر عنه ونُدعه ؟ فقال عروة من هذا ؟ قالوا : أبو بكر ، فقال أما والذي نفسي بيده لولا يد كانت

لك عندي لم أُجرك بها لأجبتك ، ثم جعل عروة يتناول لحية النبي وهو يكلمه ، وكانت من عادات العرب ، ولا سيما عند اللطافة ، فكان رسول الله يفضي عن عروة ولا يمنعه استعماله وتأليفها ، وكان المغيرة بن شعبية يقرع يده اجلالا للنبي وتعظيما ، ويقول : أ كفف يدك قبل ألا تصل إليك ، فشتته فتبسم النبي ، وقال لعروة هذا ابن أخيك المغيرة ، ثم إن رسول الله كره بنحو ما كلم أصحابه واخبره أنه لم يأت يريد حربا ، فقام من عند رسول الله ﷺ ، وقد رأى ما يصنع به أصحابه من الاخلاص والطاعة والمبادرة إلى تنفيذ ما يشير به - فرجع إلى قريش وقال لهم أني قد جئت كسرى في ملكه ، وقيصر في ملكه ، والنجاشي في ملكه ، واني والله ما رأيت مائكا في قوم قط ، مثل محمد في أصحابه ، وقد رأيت قوما لا يسامونه لشيء أبدا ، فروا رأيكم

ثم ان قريشا بعثوا أربعين أو خمسين رجلا وأمروهم أن يطيفوا بعسكر الرسول ليصيبوا لهم من أصحابه أحدا ، فأخذوا أخذنا . ولكن رسول الله عفا عنهم وخلي سبيلهم كرما وفضلا ، وبعد نظر وحسن سياسة ،

ودعا عمر بن الخطاب لبيعته الى مكة فيبلغ عنه أشرف قريش ما جاء له ، فقال اني أخاف قريشا على نفسي ، وليس بمكة من بنى عدى ابن كعب أحد يمنعني ، وقد عرفت قريش عداوتي إياها ، وغلظتي عليها ، ولكنني أدلك على رجل أعز بها مني : عثمان بن عفان ، فدعاه النبي وأرسله إلى أبي سفيان وأشرف قريش ، يخبرهم أنه لم يأت لحرب ، نخرج فلقية أبان بن سعيد بن العاص فحمله بين يديه ، ثم أجاره حتى

بلغ رسالة النبي فقالوا لير شدت أن تطوف بالبيت فطف ، فقال ما كنت لأفعل حتى يطوف رسول الله ، فاحتبسته قريش عندها فبلغ النبي والمسلمين أن عثمان قتل ، فقال النبي لا نبرح حتى نناجز القوم ، ودعا الناس إلى البيعة فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة على الموت أو على ألا يفروا ، وضرب صلى الله عليه وسلم بيده اليمنى على يده اليسرى ، وقال : هذه عن عثمان ، ولم يتخلف عنه إلا أحد بني سلمة - ثم أتى النبي أن الذي ذكر من أمر عثمان باطل . وقيل أن المشركين سمعوا بهذه البيعة فبعثوا عثمان ورجالا من المسلمين كانوا معه ، وكانوا عشرة ، دخلوا بأذن النبي أو في جوار عثمان أو سرا ،

### الهدنة

ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو - أخا بني عامر بن لؤى - إلى النبي وقالوا له أئت محمداً فصالحه ، ولا يكن في صالحه إلا أن يرجع عنا طامه هذا ، فوالله لا تحدث العرب عنا أنه دخاها علينا عنوة أبداً وجاء سهيل ، فلما رآه النبي مقبلاً ، قال قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل . فلما انتهى إلى النبي تكلم فأطال ، ثم جرى بينهما القول حتى وقع الصلح : على أن يوضع الحرب بينهم عشر سنين ، وأن يؤامن بعضهم بعضاً ، وأن يرجع النبي عنهم عامه هذا ، فلما التأم الأمر ولم يبق إلا الكتاب ، وثب عمر فأتى أبا بكر فقال . اليس برسول الله ؟ قال بلى ، قال أو لسنا بالمسلمين ؟ قال بلى ، قال : أو ليسوا بالمشركين ؟ قال بلى ، قال فعلام نعطي الدنية في ديننا إذا ؟ فطمأنه ، ثم ذهب إلى النبي فقال له نحوا مما قال عمر ، فقال النبي أنا عبد الله ورسوله لن

أخالف أمره ولن يضيّعني . لم يك سؤال عمر وكلامه شكاً ، بل طلباً لكشف ما خفي عليه ، وحثاً على اذلال الكفار وظهور الاسلام ، وهكذا كان شأن الصحابة عامة ، فقد استنكروا الصالح الا أبا بكر ودعا رسول الله على بن أبي طالب فقال : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال سهيل ، لا أعرف هذا ، ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب قبل ذلك ، فأمره الرسول بموافقة ، ثم قال اكتب : هذا ما صالح ( أو قاضي ) عليه محمد رسول الله ، فقال سهيل : لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك ، فقال النبي والله اني لرسول الله وان كذبتموني ، احبه ، فقال ما أنا بالذي أحماه ، فقال أرني مكانها ، فأراه مكانها فحماه وقال : اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو ، على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به ، فقال سهيل والله لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة ، ولكن ذلك من العام المقبل ، فكتب ، وعلى وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس ، ويكف بعضهم عن بعض ، وعلى أنه من أتى محمداً من قريش بغير اذن وليه رده عليهم ، فقال المسلمون سبحان الله ! كيف يردالى المشركين وقد جاء مسالماً ؟ فقال رسول الله انه من ذهب منا اليهم فابعده الله ، ومن جاء منهم الينا فردناه فسيجعل الله له فرجاً ومخرجاً ، ومن جاء قريشاً من مع محمد لم يردوه عليه ، وأن بيننا عيبة مكفوفة ( صدوراً منطوية على ما فيها لا تبدو منها عداوة ) وأنه لا أسلال ( سرفة ) ولا أغلال ( خيانة ) ، وأنه من أحب أن يدخل في عهد محمد وعقده دخل فيه ، وأنه من أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه .

فتو اثبت خزاعة فقالوا نحن في عقد محمد وعهده ، وتو اثبت بنو بكر فقالوا : نحن في عقد قريش وعهدهم ؛ وأنتك ترجع عنا طامك هذا فلا تدخل علينا مكة ، وأنه اذا كان دام قابل خرجنا عنك فدخلتها بأصحابك فأقت بها ثلاثا معك سلاح الراكب . السيفوف في القرب لا تدخلها بغيرها .

وبينار رسول الله يكتب الكتاب ، اذ قدم أبو جندل بن سهيل يرسف في الحديد ، قد انفت الى النبي ، فقام سهيل فضرب ابنه وقال : يا محمد قد لجت القضية بيني وبينك قبل أن يأتياك هذا ، قال صدقت ، فجعل سهيل يحجره ليرده الى قريش ، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته ويقول يا معشر المسامين أردد الى المشركين يفتنونني في ديني ؟ فزاد الناس ذلك الى ما بهم ، فقال له النبي اصبر أبا جندل واحتسب ، فانا لا نغدر ، وان الله جاعل لك لمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا ، ووثب عمر مع ابن جندل يقول له اصبر ، فانما هم المشركون ، وانما دم أحدهم كدم الكلب ، ويدن سيفه رجاء أن يأخذه فيضرب به أباه ، فضنَّ الرجل بأبيه ، ونفذت القضية : وشهد على الصالح رجال من المسامين ورجال من المشركين

وكان الصحابة لا يشكون في الفتح : لرؤيا رآها رسول الله ﷺ فامارأوا ما رأوا من الصالح . دخل على الناس من ذلك أمر عظيم . فاما فرغ النبي من الصالح قام الى هديه فنحره ثم جلس فخلق رأسه . وتو اثب أصحابه بعده فنحروا وحلقوا وقصروا ، ثم انصرف النبي بهم من وجهه ذلك قافلا ، بعد أن قضى بالحديبية بضمة عشر يوما ، وفي

نفوس بعضهم شيء من عدم الفتح ، حتى اذا كان بين مكة والمدينة  
نزلت سورة الفتح ، وفيها هذه القضية ،

وكان صلح الحديبية فتحاً ما فتح في الاسلام فتح قبله كان أعظم  
منه ، ظاهره ضيم وباطنه عز . انما كان القتال حيث التقى الناس . فلما  
كانت الهدنة ، ووضعت الحرب أوزارها ، وأمن الناس كلهم بعضهم  
بعضاً ، وتمكن من كان يخشى الدخول في الاسلام والوصول الى  
المدينة منه ، أختلط بعضهم ببعض من غير تكبر ، والتقوا فتفاوضوا  
في الحديث والمنازعة جهرة آمنين ، وكانوا قبل ذلك لا يتكلمون  
الاخفية ، فلم يكلم أحد في الاسلام يعقل شيئاً الا دخل فيه - ولقد  
دخل في تينك السنتين مثل من كان في الاسلام قبل ذلك أو أكثر ،  
يدل على ذلك أن رسول الله خرج للهدية بالف وأربعمائة ، ثم  
خرج بعد سنتين لفتح مكة في عشرة آلاف ، ويروى أن عمرو بن  
العاص وخالد بن الوليد كان اسلامهما في هذه الهدنة .

والمعجب في أمر هذه الحديبية أن تهادن قريش رسول الله وتطلب  
مصالحته ، وهذا دليل واضح على أنهم ضعفوا عن منازلة الرسول وصحبه ،  
مع أنهم أهل الدار والمنعة ، وقد بينه الله في قوله (ولو قاتلكم الذين كفروا  
لولوا الأدبار ثم لا يجدون ولياً ولا نصيراً) وفي الآية إشارة أخرى إلى  
أن حلفاء قريش فتروا عن مساعدتهم ، لطول مادعوم للاستنصار بهم ،  
وهناك سبب جيد لتعليل ما كان من مسارعة قريش إلى طاب الصلح ،  
وهو انها رأيت أن حلفاءها من قريظة قد أصابهم ما أصابهم من رسول  
الله ، فأيقنت الهلاك ، وتمنت لو أن بينها وبين الرسول سلاماً ، وخافت

على قوافلها المترددة بين الحجاز والشام أن تكون عرضة لانتهاك  
المسافرين ، فيقع بهم من ضيق العيش مالا قبل لهم بدفعه ، لذلك كله  
عملت قريش على الصلح .

وبهذه المناسبة اذكر الاثر التالي : لما قبل النبي راجعا قال رجل من  
أصحابه ما هذا بفتح ، لقد صددنا عن البيت وصد هدينا ، ورد صلى الله عليه وسلم  
رجلين من المؤمنين كانا خرجا اليه ، - فبلغه ذلك صلى الله عليه وسلم فقال بشئ الكلام ،  
بل هو اعظم الفتح : قد رضى المشركون أن يدفعوكم بالراح عن بلادهم ،  
ويسألوكم القضية ، ويرغبون اليكم في الامان ، ولقد رأوا منكم ما كرهوا ،  
واظفروكم الله عليهم ، وردكم مسلمين مأجورين ، فهو اعظم الفتوح ، انسيتم  
يوم احد ، إذ تصعدون ولا تلونون على أحد ، وأنا أدعوكم في اخراكم ؟  
انسيتم يوم الاحزاب ، إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم ... ؟  
فقال المسلمون : صدق الله ورسوله ، هو اعظم الفتوح ، والله يانبي الله  
ما فكرنا فيما فكرت فيه ، ولا أنت أعلم بالله وبأمره منا

أما ما كان من مخالفة الرسول أصحابه في الرأي ، بعد أن بايعوه  
على الموت واستعدوا لفتح مكة وبعد أن أظفروهم الله على المشركين ،  
وأسروا طليعتهم التي من رسول الله عليها بالعتق ، فقد علل له الله تعالى  
في قوله ( ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات - الآية ) أى لو لا ذلك  
لما كف أيدي المؤمنين عن قريش - على أن الله سبحانه قد وعدم فتح  
مكة في فرصة أخرى إذ قال ( لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين )  
وقد أوفى رسول الله لقريش بما عاهدهم عليه ورد بعض المسامين  
الفارين من عذاب أهل مكة اليهم دون المسامات ، لضعفا عن حمايتهم

ولاخوفا من قريش ، ولكن وفاء بالعهد إن العهد كان مستثولا ، واتباعا لسياسة المسالمة التي أمره الله بها في قوله ( وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله ) ورعاية للمصلحة المترتبة على اتمام هذا الصلح مما عامه النبي وخفي على غيره ، وتلك هي التي حملته على الموافقة ، حتى لا يترك ما فيه مصلحة للمسلمين ، إذ كانت عاقبة هذا الصلح فتح مكة ، وإسلام أهلها كلهم ، ودخول الناس في دين الله أفواجا ، إذ لما أسامت قريش أسامت العرب

علي أن في رد المسلمين إلى مكة عمارة البيت وزيادة الخير له في الصلاة بالمسجد الحرام والطواف بالبيت المتيق فتأمل ، أما النساء فليس في العهد ما يتناوهن ؛ لأنه كان صريحا في الرجال دونهن ، وأنزل الله في أمرهن قوله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات ) إلى آخر الآية ، وابتى الله أن يرددن إلى المشركين ، ولذا أمسك النبي النساء وورد الرجال

### غزوة خيبر

مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع ونخل كثير ، على ثمانية برد من المدينة إلى جهة الشام ، وهي أربعة مراحل تقطع في ثلاثة أيام ، وحديثها أنه لما عاد النبي إلى المدينة بعد هدمه الحديبية ، أقام بقية ذي الحجة وبعض المحرم ، ثم خرج في أواخر المحرم سنة ٧ إلى خيبر ( وكان الله وعده بها وهو في الحديبية ) في ألف وأربعمائة رجل ، معهم مائتا فارس ، ومعه أم سلمة زوجته ، وكانت الراية إلى علي بن أبي طالب ، ثم سلك الرسول علي عصر ، ثم على الصبياء ، ثم أقبل حتى نزل وادي

الرجيع ، ليحول بين غطفان وبين أن يمدوا أهل خيبر ، وكانوا مظاهرين لهم على رسول الله

ولما سمعت غطفان بمنزل رسول الله من خيبر جمعوا له ، ثم خرجوا ليظاهروا اليهود عليه ، حتى إذا ساروا منقلة (مرحلة) سمعوا خلفهم في أموالهم وأهلهم حسا ، ظنوا أن القوم قد خالفوا إليهم ، فرجعوا على أعقابهم فأقاموا في أهلهم وأموالهم ، وخلوا بين رسول الله وبين خيبر ونزل النبي خيبر ليلا فبات حتى أصبح ، فإذا اليهود قد خرجوا بمساحيقهم ومكاناتهم ، فلما رأوه والجيش ، قالوا : محمد والله محمد والخميس معه ، فأدبروا هرابا ، فقال النبي الله أكبر ، خربت خيبر ، أنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين

وتدنى رسول الله الأموال يأخذها مالا مالا ، ويفتحها حصنا حصنا ، فكان أول حصونهم افتتح ، حصن ناعم ، وعنده قتل محمود بن مسامة ، ألقيت عليه منه رواققتته ، ثم القموص حصن بنى أبي الحقيق ، وأصاب النبي منهم سبائيا منهم صفية بنت حيي بن أخطب ، وكانت عند كنانة بن الربيع ابن أبي الحقيق ، فاصطفأها الرسول ، لنفسه ، وفشت السبائيا من خيبر في المسامين

ثم جعل الرسول يتدنى الحصون والأموال حتى فتح حصن الصعب ، وما بنخيبر حصن كان أكثر طعاما وودكا منه - ثم انتهى إلى الوطيح والسلام ، وكانا آخر حصون أهل خيبر افتتحا ، فحاصر من فيها رسول الله بضع عشرة ليلة

وخرج مرحب اليهودي - وقد جمع سلاحه - وقال هل من مبارز ؟

فقال النبي : من هذا ؟ قال محمد بن مسامة : أنا له يارسول الله ، أنا والله  
الموتور الثائر ، قتل أخى بالأمس ، فقال : قم اليه ودعاه ، فلما دنا أحدهما  
من صاحبه دخلت بينهما شجرة ، فجعل أحدهما يلوذ بها من صاحبه وكلما  
لاذ بهما منه اقتطع صاحبه بسيفه مادونه منها ، حتى برز كل واحد منهما  
لصاحبه وصارت يديهما كالرجل القائم ما فيها فتن ، ثم حمل مرحب  
علي ابن مسامة فضربه ، فانقاه بالدرقة ، فوقع سيفه فيها ، فعضت به  
فأمسكته ، فضربه محمد فقتله

وخرج ياسر أخو مرحب وهو يقول : هل من مبارز ؟ فبرز اليه  
الزبير بن العوام فقتله ، وأتى رسول الله بكنانة زوج صفية ، وكان  
عنده كنز بنى النضير ، فسأله عنه فجحد أن يكون يعرف مكانه ،  
فقال له النبي أرأيت ان وجدناه عندك ، أفنتك ؟ قال نعم ؟ وجاء  
رجل من اليهود فدل الرسول على مكان الكنز . فوجدوا منه شيئا  
فسألوه عن الباقي فأنكر ، وعذبه فلم يقر ، فدفعه الرسول الى محمد بن  
مسامة فقتله بأخيه محمود

ولما أيقن أهل الوطيح والسلام الهلاك من شدة الحصار وطوله ،  
سألوا الرسول أن يسيرهم ، وأن يحقن دماءهم ففعل ، فنزلوا على ذلك ،  
ولما نزلوا طلبوا الى الرسول أن يعاملهم في الاموال على النصف وقالوا :  
نحن أعلم بها منكم وأعمر لها ، فصالحهم رسول الله على النصف مما يغنون  
منها ، وقال : على انا اذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم

فدك - ولما سمع أهل فدك بما صنعوا ، بعثوا الى رسول الله  
فسألوه أن يصالحهم على مثل هذا الصالح ففعل ، فكانت خيبر فيما



**المسجد النبوي الشريف**  
 كتب بعض الأئمة ورواه بعض الفقهاء في كتابه  
**فناجح الفصح الأشهر**  
 بقلم الشيخ محمد قاسم الدين المدرس بمدرسة العلوم  
 أسما الرفاعي مكتوبه بخطه الخاص

فارس فارس

بين المسلمين ، وكانت فدك خالصة للنبي ، اذ لم يوجف عليها المسلمون  
 بخيـن ولا ركـاب ، يصرف النبي عما يأتيه منها على أبناء السبيل ، ولم  
 يزل أهلها بها حتى استخلف عمر فأجلى اليهود عن الحجاز  
 أما استبقاء اليهود في أموالهم يدبرون أمورها ثم يقاسمهم المسلمون  
 ورسولهم على النصف ، فتدير محكم الاطراف ، سره أن المسلمين  
 لا غمان لهم يقيمونهم على حرثها وزرعها ، بل ولا يستطيعون أن يقوموا  
 مقام اليهود في مزاوله مايزاولون ، ولو أنه وكل اليهم القيام بذلك ماكانوا  
 ليُغفلوا من هذه الاموال ما يغله اليهود منها ، على أن الرسول في حاجة  
 الى الرجال في ذلك الوقت ليدفع عن دعوته ماتعرض له من الاخطار ، وعلى  
 أن الرسول قد احتاط فجعل أمر اليهود اليه إن شاء أبقاهم وإن شاء أخرجهم  
 وفي خيبر أهدت زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم شاة  
 مصلية مسمومة إلى رسول الله ، فأكل منها هو وبشر بن البراء بن  
 معرور ، فأساغ الاكل بشر فمات ، ولم يسغه رسول الله فنجوا ، ثم جرى  
 بالمرأة فاعترفت ؛ فقيـل لها : ما حملك على ذلك ؟ قالت بلغت من قومي  
 ما لا يخفى عليك ، فقلت ان كان ملكا استرحت منه ، وان كان نبيا  
 فسـيُخبرُ ، فتجاوز عنها ، وقيـل أمر بقتلها لما مات بشر وهو الاصح ؛  
 ولما فرغوا من خيبر انصرفوا إلى وادي القرى فحاصروا أهليه  
 أربع ليالى ، حتى أعطوا بأيديهم فافتتجه عنوة وغنمه الله أموالهم  
 فقسـمها في أصحابه وترك النبي النخل والارض في يدي أهل الوادي ،  
 وعاملهم نحو ما عامل أهل خيبر ، فبقوا كذلك إلى أن أجلاهم عمر ؛ ولما علم  
 أهل تيماء بذلك صالحوه على الجزية فأقاموا ببلادهم وأرضهم في أيديهم

وقد شهد خيبر مع رسول الله نساء من نساء المسلمين فرضخ لهن من الفداء ، ولم يضرب لهن بسهم ، وكان قد طلبن إليه أن يخرجن معه إلى خيبر لمداواة الجرحى وإعانة المسلمين بما استطعن ، فقال لهن على بركة الله

ولما عاد رسول الله إلى المدينة جاء الحجاج السلمي ، وقال له : ان لي بمكة أموالاً فأذن لي ، فأذن له ، فقال لا بد لي من أن أقول ، قال قل ، فلما ورد مكة ولم يكونوا قد علموا بإسلامه ، وعاموا بمسير الرسول إلى خيبر ، سألوه فقال عندي من الخبر ما يسركم ، فقالوا إيه يا حجاج ا قال هزم هزيمة لم تسمعوا بمنابها قط ، وقتل أصحابه قتلاً لم تسمعوا بمنابها قط ، وأسر محمد أسراً ، وقالوا لا تقتله حتى نبعث به إلى أهل مكة فيقتلوه بين أظهرهم بمن كان من رجالهم ، ففرحوا بهذا الحديث برمته ، فقال لهم : أعينوني على جمع مالي بمكة حتى أعود إلى خيبر فأصيب من فل محمد وأصحابه قبل أن يسبقني التجار إلى ما هنالك ، فقاموا فجمعوه له

وسمع العباس الخبر فجاء إلى الحجاج فأخبره أنها خديعة ، قال وما جئت إلا لأخذ مالي ، فرقامن أن أغلب عليه ، ثم حدثه بالصحيح من أخبار الرسول في خيبر وما حو لها ، وقال له : أكرم عني ، فاذا مضت ثلاث فأظهر أمرك ، فهو والله على ما تحب ، والله لقد تركت ابن أخيك عروساً على بنت مالكهم ، يعني صفية ، فلما انقضت الثلاث أخبر العباس قريشاً فأسفوا وما أنشبوها أن جاءهم الخبر بذلك

هذا أما غنائم خيبر فقد قسمت كما هي العادة في قسم الغنائم ، وأما أرضها فقد قسمها النبي بين من حضرها ومن غاب عنها من أهل

الحديبية ، وكانت الكتيبة خمس الله وسهم النبي وسهم ذوى القربى  
واليتامى والمساكين ، وطعم أزواج رسول الله ، وطعم رجال مشوا بين  
الرسول وبين أهل فاك في الصلح - وكان عدة الذين قسمت عليهم  
خيبر من الصحابة ألفاً وثمانمائة سهم برجالهم وخيالهم : الرجال ألف  
وأربعمائة ، والخيال مائتا فرس

### قدوم جعفر ومهاجرة الحبشة

ويوم فتح خيبر قدم جعفر بن أبي طالب من الحبشة على رسول  
الله ، فقبله بين عينيه وأكرمه وقال : ما أدري بأيهما أنا أسر ، بفتح خيبر  
أم بقدوم جعفر ؟ وقدم معه عدد كبير من الذين كانوا قد هاجروا إلى  
الحبشة ، لأن رسول الله بعث فيهم إلى النجاشي عمرو بن أمية الضمري ،  
فحملهم في سفينتين فقدم بهم على النبي وهو بخيبر بعد الحديبية ، ومنهم  
خالد بن سعيد بن العاص وامراته وابناه سعيد بن خالد وأمه بنت خالد ،  
وأخوه عمرو بن سعيد ، وأبو موسى الأشعري وغيره ، وكانوا جميعاً  
ستة عشر رجلاً

### عمرة القضاء

سميت بذلك لأن رسول الله قاضى قريشاً عليهم أوبسببها ، لالأنه  
قضى العمرة التي صد عن البيت فيها ، فإنها لم تك قد فسدت حتى يجب  
قضاؤها . وتسمى عمرة القضية ، وعمرة القصاص ، وعمرة الصلح  
لما رجع رسول الله من خيبر إلى المدينة أقام بها شهرى ربيع  
وجماديين ورجبا وشعبان ورمضان وشوالا ، يبعث فيما بين ذلك من غزوه  
سراياه ، ثم خرج في ذى القعدة سنة ٧ مستعدا بالسلاح والمقاتلة ، خشية

أن يقع من قريش غدر ، ولكنه بقي على شرط ألا يدخل مكة بسلاح ،  
ولذلك لما أستوثق آخر السلاح مع طائفة من أصحابه خارج الحرم ، حتى  
رجع ، وكان خروجه من المدينة ، في الشهر الذي صدده فيه المشركون ،  
معتمرا عمرة القضاء ، فدخل مكة في ذي القعدة في الشهر الحرام الذي  
صدده فيه من سنة سبع .

وخرج معه المسامون ممن كان صدده معه ، وقدم محمد بن مسامة في  
الخييل حتى وصل الى مر الظهران فوجد بها نفراً من قريش ، فسألوه  
عن مجيء الخييل ، فقال هذا رسول الله ﷺ يصبح هذا المنزل غدا إن  
شاء الله ، فأتوا قريشا فآخبروهم ففرعوا ، وحلفوا بالله ما أحدثوا حدثاً وأنهم  
على كتابهم ومدتهم ، وبعثوا نفراً منهم فلقوا رسول الله ورجعوا الى  
قومهم فقالوا لهم إن محمداً على الشرط ، فلما سمع أهل مكة خرجوا عنها  
الى رءوس الجبال ، لم يطيقوا الصبر على رؤيته يطوف هو وأصحابه بالبيت ،  
ودخل النبي راكباً ناقته من الثنية التي تطلعه على الحجون وهو يلبي حتى  
وصل الى الركن فاستلمه ، وطاف على راحته والمسامون يطوفون معه مشاة  
وتحدثت قريش بينها أن محمداً وأصحابه في عسرة وجهد وشدة ،  
وصفوا له عند دار الندوة لينظروا اليه وإلى أصحابه ، فلما دخل الرسول  
المسجد اضطجع بردائه وأخرج عضده اليمنى ، وقال رحم الله امرأ أراهم  
اليوم من نفسه قوة ، ثم استلم الركن وخرج يهرول ويهرول أصحابه  
معه - وأقام النبي بمكة ثلاثاً تزوج في خلالها وهو محرم ميمونة بنت  
الحريث الهلالية ، فجاءه حويطب بن عبد العزى في نفر من قريش قد  
وكانه باخراج النبي من مكة ، فقالوا له : إنه قد اتقضى أجلك فاخرج

عنا ، فقال لهم : وما عليكم لو تركتموني فأعرست بيني أظهركم ، وصنعنا  
لكم طعاما فحضرتموه ؟ فقالوا . لا حاجة لنا في طعامك فاخرج عنا ،  
فخرج النبي وانصرف إلى المدينة ، فأُنزل الله عليه ( لقد صدق الله رسوله  
الرؤيا بالحق . الآية )

غزوة مؤتة - وهي من أرض البلقاء بالشام ، وكان غزوها في  
جمادى الأولى سنة ثمان ، وسبب ذلك أن رسول الله كان أرسل الحارث  
ابن عمير الأزدي بكتاب إلى ملك بصرى من قبل هرقل ، وهو الحارث  
ابن أبي شمر الغساني ، فلما نزل مؤتة عرض له شرحبيل بن عمرو من  
امراء قيصر فقتله ، ولم يقتل لرسول الله رسول غيره ، فبعث رسول الله  
بعثه إليها . واستعمل عليهم زيد بن حارثة ، وقال : ان أصيب زيد  
فجعفر بن أبي طالب على الناس ، فان أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة  
على الناس ، فتجهز الناس واستعدوا للخروج وكانوا ثلاثة آلاف ،  
فحضر النبي خروجهم وودعهم ودعا لهم وعاد ، فساروا حتى نزلوا معان ،  
فباغهم أن هرقل قد نزل مؤاب من أرض البلقاء في مائة ألف من  
الروم ، وانضم اليهم من جمعهم شرحبيل من لحم وجدام والقين وبهراء  
وبلي مائة ألف عليهم رجل من بلي - فلما بلغ المسلمين الأمر ، أقاموا  
على معان ليلتين يفكرون في أمرهم وقالوا : نكتب إلى رسول الله  
فنخبره بعدد عدونا ، فلما أن يمدنا بالرجال ، وإما أن يأمرنا بأمره فنضى  
له ؟ فشجع الناس ابن رواحة وقال : والله يا قوم إن التي تكرهون ، التي  
خرجتم إياها تطالبون ، الشهادة ، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ،  
ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به ، فانطلقوا فانما هي إحدى

الحسنين : إما ظهور وإما شهادة ، فقال الناس : صدق والله ، وساروا معه ، ووافقهم جموع الروم والعرب بقرية يقال لها مشارف ، وأنحاز المسلمون الى مؤتة ، فدنا منهم العدو ، والتقى الناس عندها ، فتعجب لهم المسلمون ثم التقوا واقتتلوا ، فقاتل زيد براية النبي حتى شاط في رماح القوم ، ثم أخذها جعفر فقاتل بها ، حتى إذا أُلجم القتال ، اقتحم عن فرسه وقاتل حتى قتل ، وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ؛ ضربه رومي فنتطعه نصفين ، فوجد في أحد نصفيه بضعة وثمانون جرحا ، وفيما أقبل من يديه اثنتان وسبعون ضربة بسيف وطعنة برمح . — فأخذ الراية عبد الله بن رواحة الخزرجي ، وأخذ سيفه وتقدم فقاتل حتى قتل ، فأخذ الراية ثابت بن أقرم العجلاني وقال يامعشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم ، قالوا أنت ، قال ما أنا بفاعل ، فاصطلحوا على خالد ابن الوليد ، فلما أخذ الراية دافع القوم وخاشى بهم ( حاجزهم ) ثم انحاز وأنجيز عنه من غير هزيمة ؛ ويروى أن خالدا لما حاز المسلمين وبات ثم أصبح وقد غير تعبئة العسكر ، توهم العدو أنه جاءهم مدد ، فلما حمل عليهم ولوا فلم يتبعهم ، ورأى الرجوع بالمسلمين هو الغنيمة العظمى فأقبل بهم قافلا الى المدينة .

هذا وقد جاء الخبر من السماء إلى رسول الله بصورة هذه الكارثة ، فحدث الناس بها قبل قدوم خالد ، وقد لقب خالدا في حديثه بسيف الله ، وأمهل رسول الله ﷺ آل جعفر ثلاثا ثم أتاهم فقال : لا تبكوا على أخي بعد اليوم ، ثم قال : أئتوني ببني أخي ، قال عبد الله بن جعفر : فجئنا بنا كأنا افراخ ، فدعا الحلاق فحاق رءوسنا ، ثم قال : هنيئا لك ، أبوك يطير مع الملائكة في السماء .

### مكانة الملوك

لما عقد رسول الله الهدنة مع قريش، شرع يبلغ ما أنزل إليه من ربه، فكتب إلى الملوك ومن على شاكلتهم يدعوهم إلى الإسلام، والتصديق بنبوته، وإن الله أرسله للناس كافة بشيرا ونذيرا، ويحذرهم عاقبة العناد وأن عليهم وحدهم إثم رعاياهم إذا لم يستجيبوا لله وللرسول.

فأرسل حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس بمصر، وشجاع بن وهب إلى الحرث بن أبي شمر الغساني ملك غسان بالبلقاء، ودحية السكابي إلى قيصر، وسليط بن عمرو العامري إلى هوزة الحنفي، وعبدالله بن حذافة إلى كسرى أبرويز الذي بطر وأشر وخسر الناس في أموالهم وولى عليهم الظامة وضييق عليهم المعاش وبغض عليهم ملكه وجمع من المال ما لم يجمعه أحد، وقد قتله ابنه شيرويه الذي ملك بعده ثمانية أشهر وهلك سنة ٥٧ هـ، وعمرو ابن أمية الضمري إلى النجاشي، والعلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى. فأما المقوقس فإنه قبل كتاب النبي وأهدى إليه أربع جوار منهن مارية أم ابراهيم بن رسول الله، وأما قيصر فقبل الكتاب وتريث حتى يكتب إلى رجل من أهل الكتب برومية يسأله عن شأن النبي، فلما جاء الخبر منه بأنه النبي الذي كنا ننتظره، صدقه، قيل إنه جمع بطارقة الروم وأشرف عليهم فقال: إنه جاءني كتاب هذا الرجل يدعوني إلى دينه، وأنه النبي الذي نجده في كتبنا، فهل فلنتبعه ونصدقه - فرفضوا وتولوا مدبرين - فقال: ردوهم وخافوهم على نفسه، وقال لهم: إنما قلت لكم ما قلت لأني لا أنظر كيف صلابتكم في دينكم، وقد رأيت منكم ما سرتني، فانطلقوا

وكان كتاب النبي إلى قيصر وهو هرقل : بسم الله الرحمن الرحيم ،  
من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم ، السلام على من اتبع الهدى  
أسلم تسلم ، وأسلم يؤتتكم الله اجره ، وإن توليت فان اثم الكافرين  
( العامة ) عليكم ( يا أهل الكتاب تعالوا الابه )

وأما الغساني فان قال من يزرع ملكي مني ؟ أنا سأبر اليه ولو كان  
بالين ، وأمر بالخيل تنعل ، وكتب الى قيصر لأنه عامله على العرب فنجاه  
عن السير ، فلما انتهى حتى أرسل الرسول اليهم جيش الأشرار إلى مؤتة سنة  
٧ ، ثم تهيأ بعد حنين والطائف لغزو الروم فغزا تبوك وأرسل خالداً إلى  
دومة فأسر أكيدر دومه

وأما النجاشي فإنه لما جاءه الكتاب آمن وأسلم على يد جعفر بن  
أبي طالب ، وأرسل إليه ابنه في ستين من الحبشة فغرقوا في البحر ،  
وأرسل إليه رسول الله ليزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان ، وكانت من  
مهاجرة الحبشة مع زوجها عبيد الله بن جحش ، فتنصر ومات هنالك ،  
نخطبها النجاشي إلى النبي فأجابته ، وأصدقها النجاشي أربعةائة دينار ،  
فلما سمع أبو سفيان قال ذلك الفحل لا يقذع أنفه

وأما كسرى فزق الكتاب ، وكان فيه بسم الله الرحمن الرحيم  
من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس ، سلام على من اتبع الهدى ،  
وآمن بالله ورسوله ، وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ،  
أدعوك بدعاية الله ، واني رسول الله إلى الناس كافة لا تذر من كان حياً  
ويحق القول على الكافرين ، فأسلم تسلم ، وإن توليت فان اثم الجوس عليك  
وقال كسرى يكتب إلى بهذا وهو عبدي ؟ وكتب الى باذان وهو

بالمين أن ابعث إلى هذا الرجل الذي بالحجاز رجلين من عندك جليدين  
فليأتياي به ، فبعث باذان رجلين وكتب معها يأمر النبي بالمسير إلى  
كسرى ، و تقدم إلى أحدهما أن يأتيه بخبر النبي ، و سمعت قريش بذلك  
ففرحوا وقالوا أبشروا فقد نصب له كسرى ملك الملوك ، كنفيتم الرجل ،  
فأما قدما على رسول الله أعلم بما قدما له ، و حذراه عاقبة الرفض لثلا  
يها - كه كسرى ويهلك قومه - فأخبرهم أن الله ساط على كسرى ابنه  
شيرويه فقتله ، وأمرها أن يعودا ويقولوا لباذان أسلم ، فان أسلم أقره  
على ما تحت يده وأما كه على قومه ، فما أخبراه الخبر حتى قدم عليه  
كتاب شيرويه يخبره بقتل كسرى ، وأنه قتله غضباً للفرس لما استحل  
من قتل أشرافهم ، ويأمره بأخذ الطاعة له بالمين ، وبالكف عن النبي صلى الله  
عليه وآله  
فلم يلبث باذان أن أسلم ، وأسلم معه أبناء من فارس

وأما هوذة الحنفي وهو ملك اليمامة فانه قال وكان نصرانيا: إن جعل  
الأمر لي من بعده أسلمت ، وسرت إليه ونصرته ، والاقصدت حربه ، أرسل  
إليه بذلك رجلين فأسما وأقام أحدهما عند رسول الله حتى قرأ سورة أو  
أكثر من القرآن ، ثم عاد إلى اليمامة وكان يسمى الرجال بن عنفوة وشهد أن  
الرسول أشرك مسيامة معه ، فكانت فتنته أشد من فتنة مسيامة

وبعد فقد بلغ الرسول رسالة ربه ، وما على الرسول إلا البلاغ المبين ،  
ولكنه هنا قد بلغ الملوك لا الشعوب ، والحكمة في ذلك واضحة من أن  
الملوك ومن على شاكلتهم من الرؤساء والقادة هم الذين إذا رسموا إلى  
الناس خطة اتبعوها ، وإذا سلكوا طريقا سلك الناس من وراءهم هذا  
الطريق ، لأن الناس على دين ملوكهم ، وهم أيضا الذين ينتظر أن يقوموا

في وجه الدعوة ليحولوا بينها وبين شعوبهم ، حتى لا يعتنقوا الاسلام ،  
فيثوروا عليهم ويستزلوهم من عروشهم ويجعلوهم معهم في مستوى واحد ،  
يصبحون به تابعين بعد أن كانوا متبوعين ، مأمورين بعد أن كانوا  
أمريين ، ومن ذا الذي يرغب في تقويض دعائم ملكه ، أو لا يتعرض  
إلى من يقصد تحطيم بناء مجده ؟

لذلك قصدهم الرسول بالكتابة ، وجعل التبعة في عدم وصول الدعوة  
إلى شعوبهم واقعة عليهم ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم  
فتح مكة

والأسباب الموجبة المسير إليها ، وفتحها في رمضان سنة ثمان  
هو الفتح الاعظم الذي أعز الله به دينه ورسوله ، وجنده وحرمة  
الأمين ، واستنقذ به بلده وبيته من أيدي المشركين : خرج له النبي  
بكتائب الاسلام وجنود الرحمن ، لنقض قريش العهد الذي  
وقع بالحديبية .

أقام رسول الله بعد غزوة مؤتة جمادى الآخرة ورجبا - ثم إن  
بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة ، عدت على خزاعة وهم على ماء لهم  
بأسفل مكة يقال له الوثير .

وكان الذي هاج ما بين بكر وخزاعة ، أن رجلا من حلفاء بكر  
خرج تاجراً ، فلما توسط أرض خزاعة عدوا عليه فقتلوه وأخذوا ماله ،  
فعدت بكر على خزاعي فقتلوه ، فعدت خزاعة قبيل الاسلام على  
بعض بنى بكر فقتلوهم بعرفة ، ثم جاء الاسلام فتشاغل الناس به -  
وفي صلح الحديبية دخلت خزاعة في عقد رسول الله وكانت حلفاء

عبد المطلب ، وجاءته يومئذ بكتاب هذا الحلف ، فقرأه عليه أبي بن كعب فقال : ما أعرفني بحلفكم وأنتم على ما أسأتم عليه من الحلف ، وكل حلف كان في الجاهلية فلا يزيد الإسلام إلا شدة ، ولا حلف في الإسلام ، ودخل بنو بكر في عقد قريش - فلما كانت الهدنة ، اغتتمها بنو الدليل من بني بكر ، وأرادوا أن يصيبوا من خزاعة ثأراً بأولئك الذمير الذين أصابوا منهم ، فخرج نوفل بن معاوية الديلي في بني الدليل ، وهو يومئذ قائدهم ، وليس كل بنو بكر بايعه ، حتى بيّت خزاعة على الوتير ، فأصاب منهم رجلاً . وأستيقظت لهم خزاعة فاقتتلوا الى أن دخلوا الحرم ولم يتركوا القتال ، ورفدت قريش بني بكر بالسلاح ، وقاتلوا معهم بالليل مستخفين ، حتى جاوزوا خزاعة الحرم ، فقالت بنو بكر : يا نوفل قد دخلنا الحرم ، إهك إهك ، فقال لا إله له اليوم ، يا بني بكر أصيبوا ثأركم ، إنكم لتسرقون في الحرم ، أفلا تصيبون ثأركم فيه ؟

ولما دخلوا ، لجأت خزاعة الى دار بديل بن ورقاء ودار مولاهم رافع ، فأنهوا بهم في عمارة الصبح ، ودخل رؤساء قريش بيوتهم وهم يظنون أنهم لا يعرفون ، وأن هذا لا يبلغ النبي ، وأصبحت خزاعة مقتولين على باب بديل ورافع ، ولولا وساطة سهيل لاستأصلهم نوفل ، ثم ندمت قريش على ما فعلت ، وعرفت أنه نقض للذمة والعهد الذي بينهم وبين رسول الله ، وخرج عمرو بن سالم الخزاعي في أربعين راكباً ، حتى قدم على النبي بالمدينة ، فوقف وهو جالس بالمسجد بين ظهراني الناس وقال ،

لأني ناشد محمدًا      حلف ابينا وأبيه الا تلبدا  
قد كنتم ولدا وكننا والدا      تمت اسلمنا فلم نزرع يدا  
إن قريشًا أخلفوك الموعدا      ونقضوا ميثاقك المؤكدا  
وجعلوا لي في كداء رصدا      وزعموا أن لست أدعو أحدًا  
فانصر هداك الله نصرًا أبدًا      وأدع عباد الله يأتوا مددا  
فيهم رسول الله قد تجردا      إن سيم خسفا وجهه تربدا  
في فيلق كالبحر يجرى مزبدا      هم يبتونا بالوتير هجدا  
وقتلونا ركعًا وسجدًا      وهم أذل وأقل عددًا

على اختلاف بين الرواة في ترتيبها.

فقال له رسول الله : نصرت ياعمرو ، فكان ذلك مما هاج فتح مكة  
ثم خرج بديل بن ورقاء في نفر من خزاعة حتى قدموا على النبي  
فأخبروه بما أصيب منهم ، وبمظاهرة قريش بنى بكر عليهم ، ثم انصرفوا  
راجعين الى مكة ، فلقيهم أبو سفيان بعسفان ، قد بعثته قريش الى  
الرسول ليشد العقد ويزيد في المدة ، وقد رهبوا الذي صنعوا ، فقال  
لبديل : من أين أقبلت ؟ أو جئت محمدًا ؟ فلم يصدقه ، فلما راح بديل  
الى مكة التمس أبو سفيان مبرك راحلة بديل . فأخذ من بعرها فقتله ،  
ف رأى فيه النوى ، فعلم أنه جاء محمدًا صلى الله عليه وسلم ، فسار حتى قدم المدينة على ابنته  
أم حبيبة ، فلما ذهب ليجلس على فراش النبي طوته عنه ، فقال لها :  
أرغبتِ بي عن هذا الفراش ، أم رغبتِ به عني ؟ قالت هو فراش النبي  
وأنت رجل مشرك نجس ، قال والله لقد أصابك بعدى يابنية شر ،  
وخرج حتى أتى النبي فكلّمه فلم يرد عليه شيئًا ، فذهب إلى أبي بكر

ليكون وسيطاً فرفض ، وجاء عمر فقال له : والله لو لم أجد إلا الذر  
لجاهدتك به ، فدخل على علي وعنده فاطمة وعنده الحسن يدب بين  
يديها - فقال لعلي : اشفع لي الى رسول الله ، فقال لقد عزم رسول  
الله على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه ، فالتفت الى فاطمة وطاب اليها  
أن تأمر أبنها فيجبر بين الناس ؛ فيكون سيد العرب الى آخر الدهر ،  
قالت : والله ما بلغ ابني ذلك أن يجبر بين الناس ، وما يجبر أحد على رسول  
الله ، فعاد الى علي حاراً يطالب النصيحة ، فقال : والله ما أعرف شيئاً  
يغني عنك شيئاً ، ولكنك سيد بني كنانة ، فأجر بين الناس ، ثم الحق  
بأرضك - قال أو ترى ذلك مغنيا عن شيئاً؟ قال لا والله ، ولكني لا أجد  
لك غير ذلك ، فقام أبو سفيان في المسجد فقال : أيها الناس إن قد أجرت  
بين الناس ، ثم ركب بعيره فانطلق ، فلما قدم على قريش قالوا ما وراءك؟  
قال جئت محمداً فكلمته ، فوالله ما رد علي شيئاً ، ثم جئت ابن أبي قحافة  
فلم أجد فيه خيراً ، ثم جئت ابن الخطاب فوجدته أعدى العدو ، ثم  
أقيت عالياً فوجدته ألين القوم ، وقد اشار على بشيء صنعته ، فوالله  
ما أدري هل يغني ذلك شيئاً؟ قالوا وبم أمرك؟ قال أمرني أن أجبر بين  
الناس ففعلت ، قالوا فهل أجاز ذلك محمد؟ قال لا ، قالوا ويلك ، والله  
إن زاد الرجل على أن لعب بك ، فما يغني عنك ما قلت ، قال : والله  
ما وجدت غير ذلك .

وأمر رسول الله الناس بالجهاز وأمر أهله أن يجهزوه ، وأعلم الناس  
أنه سائر إلى مكة وأمرهم بالجد والتهيؤ ، وقال : اللهم خذ العيون  
والاخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها ، فتجهز الناس .



ولما أجمع الرسول المسير الى مكة ، كتب حاطب بن أبي بلتعة كتابا إلى قريش يخبرهم بالذي أجمع عليه النبي ، وأعطاه امرأة من موزينة اسمها سارة ، وجعل لها جملا هو عشرة دنانير ، على أن تبلغه قريشا ، فجعلته في رأسها ، ثم فتلت عليه قرونها ، وخرجت به ، وعلم رسول الله بما صنع حاطب ، فبعث عليا والزيير فأدركا المرأة ، وهددها على أن تستخرج الكتاب فدفعته اليه ، ولما عاد على وصاحبه ، دعا النبي حاطبا فسأله فاعتذر عن فعلته ، بأنه أراد أن يصانع قريشا ، لان له بين أظهرهم ولدا ، فطلب عمر أن يضرب عنقه ، فلم يجبه النبي ، لان حاطبا من أصحاب بدر ، ثم مضى رسول الله لسفره ، إذ خرج لعشر مضين من رمضان ، فصام وصام الناس معه ، حتى إذا كان بالكديد — بين عسفان وامج — أفطر

فاما نزل النبي مر الظهران ، وقد عميت الاخبار عن قريش ، خرج في إحدى الليالي أبو سفيان ومعه بديل بن ورقاء وحكيم بن حزام يتجسسون الأخبار ( يروى أن الحرس اسروهم جميعا فلقيهم العباس فأجارهم وادخلهم على النبي ، فأسلم بديل وحكيم ، وتأخر أبو سفيان باسلامه حتى أصبح على ما يجيء ) ، وكان العباس قد لقي النبي بالجحفة مهاجرا بأهله وعياله فعاد معه ، ولقي النبي بالابواء أبو سفيان ابن عمه الحرث بن عبد المطاب ، وابن عمته عاتكة عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة ، فالتمسا الدخول عليه فرفض ، لما كان ياتي منهما من شدة الاذى والهجو ، ثم وق وأذن لهما فدخلا عليه وأساما ، فلما كان النبي بقديد ، عقد اللوية والرايات ودفعها إلى القبائل ، ثم نزل مر الظهران فأمر أصحابه فاقعدوا

عشرة آلاف نار لتراها قريش قترحب ، ولم يباغ قريشاً مسيره وهم خائفون من غزوه .

ثم أن العباس قال في نفسه : والله لئن دخل النبي مكة عنوة ؛ إنه لهلاك قريش لي آخر الدهر ، فجلس على بغلة رسول الله وقال أخرج ، لعلني أرى حطاباً أو رجلاً يدخل مكة فيخبرهم بمكان النبي فيأتونه ويستأمنونه ، فبينما هو يسير إذ سمع صوت أبي سفيان ومن معه ، وأبو سفيان يقول : ما رأيت كالليلة نيراناً قط ، لكانها نيران عرفة ؛ فيقول بديل هذه والله خزاعة ، فيقول أبو سفيان ، خزاعة أقل وأذل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها ، فلما عرف العباس صوت أبي سفيان ناداه يا أبا حنظلة ، فعرف صوت العباس وقال : أبو الفضل ؟ قال العباس نعم ، قال مالك فداك أبي وأمي ، قال العباس : ويحك يا أبا سفيان ، هذا رسول الله في الناس أتاكم بمعشره ، قال فما الحيلة ؟ قال والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك ، فاركب في عجز هذه البغلة حتى آتي بك النبي فأستأمنه لك ، فركب ، وخرج العباس به ، وكما مر بنار من نيران المساهين يقولون عمر رسول الله على بغلة رسول الله ، حتى مرا بنار عمر فقال : أبو سفيان ؟ عدو الله ؟ الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد ، ثم اشتد نحو النبي ، وركضت البغلة فسبقت عمر ، ودخل عمر على النبي فأخبره وسأله أن يضرب عنقه ، فقال العباس قد أجرتة ، فلما أكثر عمر في شأنه ، قال له العباس : مهلاً يا عمر ، فوالله لو كان من رجال بني عدي ماقلت هذا ، ولكنك قد عرفت أنه من بني عبد مناف ، فقال عمر مهلاً يا عباس ، فوالله لا سلامك يوم أسلمت ، كان أحب إلي من إسلام الخطاب لو أسلم ، فقال النبي قد آمننا حتى

تغدو به بالغداة، فرجع به العباس ثم غدا به على النبي، فلما رآه قال ويحك يا أبا سفيان، ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله الا الله؟ قال بلى يا أبا أنت وأمي، قال ألم يأن لك أن تشهد أني رسول الله؟ قال: أمّا هذه ففي النفس مني شيء، فقال له العباس ويحك! أشهد شهادة الحق قبل أن تضرب عنقك، فتشهد وأسلم، فقال العباس يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له ذكرا، فقال نعم، وأمر فنادى مناديه: من دخل دار أبن سفيان فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، فلما ذهب لينصرف قال النبي للعباس: احبسه عندك حتى تمر عليه جنود الله، فحبسه حتى مرت القبائل براياتها وهو يسأل عنها واحدة واحدة، حتى مرت الخضراء، وهي كتيبة رسول الله، وفيها الانصار والمهاجرون، لا يرى منها إلا الحدق من الحديد، فسأل العباس عنها فأخبره فقال: ما لأحد بهؤلاء من قبل ولا طاقة، لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيما، فقال له: يا أبا سفيان إنها النبوة، فقال نعم إذا، ثم قال له الحق بقومك، فجاء فصرخ: يامعشر قريش، هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به، قالوا فما قال؟ قال من دخل داري فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، يامعشر قريش أسلموا تسامرا، فاقبلت امرأته هند بنت عتبة فأخذت بلحيته وقالت: يا آل غالب اقتلوا هذا الشيخ الاحمق، فقال: ارسلني لحيتي، وأقسم انن لم تسلمني أنت لتضربن عنقك، ادخلي بيتك، فتركته

وتقدم رسول الله حتى نزل بنى طوى، ومن هنالك فرق جيشه،

فأمر الزبير أن يدخل في بعض الناس من كداء (شمالاً) وأمر سعد بن عبادة أن يدخل ببعض الناس من كُدَيْ (بالشمال الشرقي من ناحية عرفات) فقال سعد : اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الكعبة ، فسمعها من اعتراض النبي وقال :

يا بني الهدى إليك لجأحي م قريش ولات حين لجا  
حين ضاقت عليهم سمة الارض وعادتهم اله السماء  
والنقت ، حاقنا البطان على القوم ونودوا بالصليم الصلحاء  
ان سعدا يريد قاصمة الظم ربأهل الحجون والبطحاء

فلما سمع صلى الله عليه وسلم هذا الشعر دخلته رافة ورحمة ، فأمر بالراية فأخذت من سعد فدفعت الى ابنه قيس أو إلى علي أو إلى الزبير؛ وأمر خالد بن الوليد أن يدخل من الليط أسفل مكة ، ودخل رسول الله من كداء وأذاخر بأعلى مكة على ناقته القصواء وهو يتلو سورة الفتح وكان صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو قد جمعوا أناساً بالخدمة أسفل مكة ليقاتلوا - فلما لقيهم المسلمون من أصحاب خالد ، نأوشوهم شيئاً من القتال ، وقتل المسلمون منهم اثني عشر رجلاً فانهزموا ، وأقبل خالد بالمسلمين فقام في وجههم النساء المشركات ياطمن وجوه الخيل بالحجر ، وكان النبي قد أمر امراءه ألا يقتلوا أحداً الا من قاتلهم ، غير أنه قد عهد في نفر سماهم ، أمر بقتلهم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة ، وكانوا ثمانية رجال وأربع نسوة

ودخل الرسول وجنده مكة آمناً ، وكان ذلك لعشر بقين من رمضان سنة ثمان ؛ فلما اطمأن الناس خرج فطاف بالبيت سبعة على

راحلته ، ثم دعا عثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة ودخلها ، فوجد بها حمامة من عيدان فكسرها بيده ، ثم لما كان الغد ، وقف على باب الكعبة خطيبا وقد استكف الناس في المسجد ، فهلل وكبر ، وذكر الله كثيرا ، ثم كان مما قال : ألا كل ماثرة أو دم أو مال يُدعى ، فهو تحت قدمي هاتين ، إلا سداثة البيت ، وسقاية الحاج ، ثم قال يامعشر قريش ، ماترون أنى فاعل فيكم ؟ قالوا خيرا ، أخ كريم ، وابن أخ كريم ، قال : فاني أقول كما قال أخى يوسف ( لا تثرىب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ) ثم قال اذهبوا فأنتم الطلقاء - ثم جلس للبيعة على الصفا وعمر بن الخطاب تحته ، واجتمع الناس لبيعة النبي على الاسلام فكان يبايعهم على السمع والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا ، فاما فرغ من الرجال بايع النساء .

وقد أمر رسول الله بطمس الصور التي على جدران الكعبة وتحطيم الاصنام التي فوقها أو حولها ( ٣٦٠ ) .

وكان من الذين هدر دماءهم رسول الله ﷺ .

(١) عكرمة بن أبي جهل - لما كان الفتح هرب الى اليمن وأسامت امرأته أم حكيم بنت الحرث قبله فاستأمنت له ، وخرجت في طلبه ، فأدركته يريد ركوب البحر ، فذكرت اليه أن النبي آمنه فعاد معها وأسلم

(٢) صفوان بن أمية بن خلف ، فر الى جده ليركب منها الى اليمن ، فقال عمير بن وهب الجمحي : يا بني الله ، ان صفوان سيد قومه ، وقد خرج هاربا منك ليقتل نفسه في البحر ، فقال هو آمن ، قال عمير فأعطني آية يعرف بها أمالك ، فأعطاها النبي عمامة التي دخل بها مكة ،

فادركه عمير وطمأنه فرجع ، فلما وقف على رسول الله قال له : ان هذا يزعم أنك أمتنى ، قال صدق ، قال فاجعلنى فيه بالخيار شهرين ، قال أنت بالخيار فيه أربعة أشهر ، فأقام معه كافراً ، وشهد معه حينئذ والطائف ، ثم أسلم وحسن إسلامه

(٣) عبدالله بن سعد بن أبي سرح من بنى عامر بن لؤى ، وكان قد أسلم وكتب الوصى إلى النبي ، فسكان إذا أملى عليه (عزيز حكيم) يكتب (غفور رحيم) ثم يقرأ عليه فيقول : نعم سواء . ثم ارتد ولحق بقريش - فلما كان الفتح فر إلى عثمان بن عفان ، وكان أخاه من الرضاعة فغيبه عثمان حتى اطمأن الناس وأحضره عند النبي وطلب له الامان ، فصمت الرسول طويلاً ثم أمنه فأسلم وعاد ، فلما انصرف قال النبي لاصحابه لقد صمت ليقته أحدكم فقالوا : هلا أو مات ؟ فقال ما كان للنبي أن يقتل بالاشارة ، إن الانبياء لا يكون لهم خائنة الأعين .

(٤) وحشى بن حرب قاتل حمزة هرب يوم الفتح إلى الطائف ، ثم وفد في أهله على رسول الله مسلماً .

(٥) عبد الله بن الزبير السهمي ، وكان يهجو رسول الله بمكة ويعظم القول فيه ، فهرب يوم الفتح إلى نجران ، ثم عاد إلى رسول الله معتذراً فقبل عذره وأسلم .

ومن النساء هند بنت عتبة ، أمر رسول الله بقتلها لقتلتها في حمزة ، ولائها كانت تؤذى رسول الله بمكة ، جاءت إليه مع النساء متنكرة فأسلمت ، وكسرت كل صنم في بيتها ، وأهدت إلى رسول الله جديين واعتذرت من قلة ولادة غنمها ، فدعا لها بالبركة فيها فكثر .

وكان من حديثها عند وفودها على النبي في نسوة من قومها ؛ أنه قال لمن أتبايعنني على ألاّ تشركن بالله شيئاً ؟ فقالت هند : أنك والله لتأخذ علينا ما لا تأخذ على الرجال ، فسنوثيكه ، قال ولا تسرقن ، فقالت : والله إن كنت لأصيب من مال أبي سفيان الهنة والهنة ، فقال أبو سفيان وكان حاضراً ، أما ماضى فأنت منه في حل ، فقال النبي أهند ؟ قالت . أنا هند فاعف عما سلف عفا الله عنك ، فقال : ولا ترنين ، قالت وهل ترني الحرة ؟ قال ولا تقتلن أولادكن ، قالت ريبتاهم صنغارا وقتلتهم يوم بدر كبارا ، فأنت وهم أعلم ، قال ولا تأتين بهتان تقترينه بين أيديكن وأرجلكن ، قالت : والله إن إتيان بهتان لقبيح ، وما تأمرنا إلا بالرشد ومكارم الاخلاق ، قال ولا تعصينني في معروف ، فقالت . ما جلسنا هذا المجلس ونحن نريد أن نعصيك ، فقال النبي لعمر بايعهن واستغفر لهن .

### غزو بني جذيمة

ولما تم فتح مكة ، بعث النبي سراياه حول مكة يدعو إلى الله ، ولم يأمر بقتال ، وكان ممن بعثهم خالد بن الوليد ، فوطىء بني جذيمة بن عامر بن عبد مناة من كنانة بالغميصاء ، أسفل مكة على ليلة بناحية يلم . وكانت جذيمة قد أصابت في الجاهلية عوفاً أباً عبد الرحمن بن عوف ، والفاكه بن المغيرة عم خالد ، فلما رأى خالد القوم أخذوا السلاح فقال لهم ضعوا السلاح فان الناس قد أساموا فوضفوه ، فأمر بهم خالد فكثفوا ثم عرضوا على السيف فقتل منهم من قتل ، فلما انتهى الخبر إلى النبي رفع يديه إلى السماء ، ثم قال اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد

ثم أرسل عليًا وأمره أن ينظر في أمرهم ، فودی لهم الدماء والاموال حتى انه ليدي ميلةً الكاب ، وبقى معه من المال فضلة ، فقال لهم علي : هل بقي لكم مال أو دم لم يؤد؟ قالوا لا ، قال فاني أعطيك هذه البقية احتياطاً لرسول الله ، ثم رجع فأخبر النبي فقال أصبت وأحسنيت .

أما خالد فاعتذر بأن عبد الله بن حذافة السهمي أمره بذلك عن رسول الله ، لامتناعهم عن الاسلام ، وكان بين عبد الرحمن بن عوف وخالد مشادة في الأمر ، إذ قال له عملت بأمر الجاهلية في الاسلام ، فقال خالد : إنما ثارتُ بأبيك ، فقال عبد الرحمن كذبت ، قد قلت أنا قاتل أبي ولكنك ثارتَ بعلمك الفاكه ، حتى كان بينهما مشر : فنهى رسول الله خالدًا عن الصحابة ، وانتهى بذلك الامر ، والقول الفصل في سبب قتل خالد القوم هو أنه دعاهم الى الاسلام فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا ، فجعلوا يقولون صباأنا صباأنا ، فنقم عليهم العدول عن لفظ الاسلام ، وفهم أنهم أنفوا أن يقولوا أسلمنا ، ولم ينقادوا ، فاستحل من جراء ذلك قتلهم متأولا ، وقال ان هذا ليس باسلام ، وثار غضبا لله ، معتقدا أنه لا طريق إلى الحق الا الصراحة .

وأرسل رسول الله خالدًا هدم العزى بنخلة ، وكانت بيتاً يعظمه هذا الحى من قريش وكنانة ، وكان سدنها بنى شيبان من بنى سليم ، حلفاء بنى هاشم ، فلما انتهى اليها هدمها ورجع الى النبي - ولو لم يكن راضيا عنه ، معتقدا صحة ماذهب اليه ، ما أرسله في هذا الوجه ولا في غيره وأرسل عمرو بن العاص فهدم (سواع) صنم هذيل ، وأرسل سعد بن زيد الأشملي الى مناة صنم الاوس والخزرج بالمشلى .

هذا وقد أقام النبي بعد فتح مكة خمس عشرة ليلة يقصر الصلاة

غزوة حنين وتسمى غزوة هوازن

كانت هذه الغزوة سنة ثمان بعد فتح مكة وتسمى أوطاس، بالوضع

الذي كانت فيه شرقي مكة .

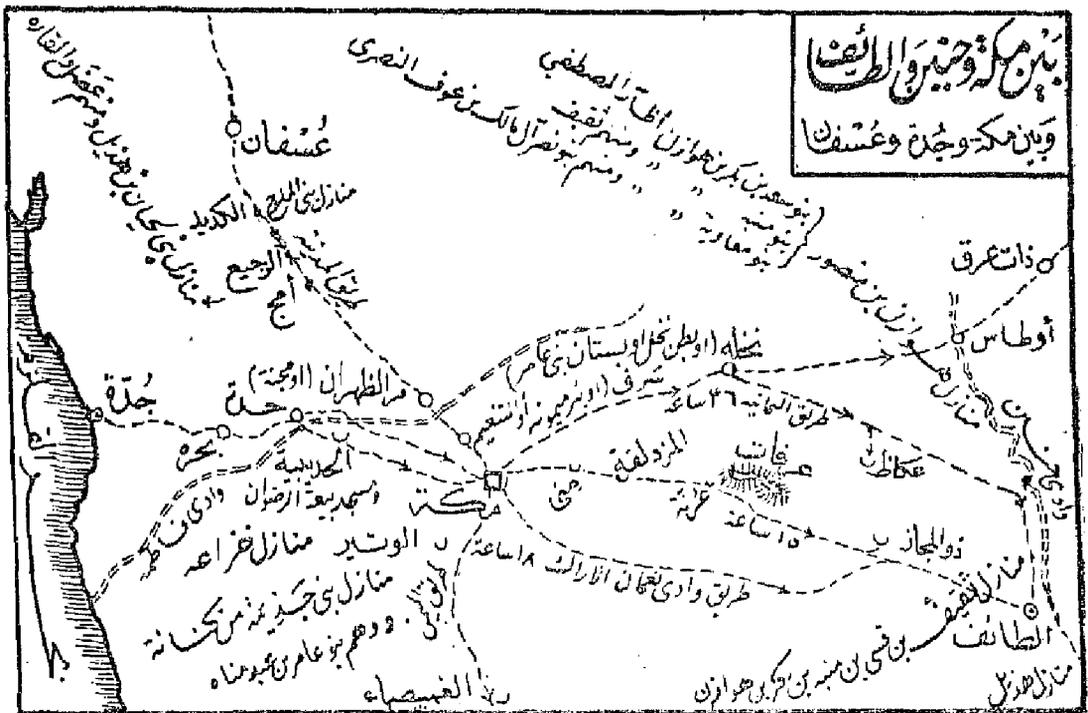
وسببها : أنه لما سمعت هوازن بالنبي وما فتح الله عليه من مكة ،

جمعها مالك بن عوف النصرى فاجتمع اليه مع هوازن ثقيف كلها ، ولم

يحضرها من هوازن كعب ولا كلاب . وكان في بني جشم دريد بن

الصمة شيخ كبير ليس له شيء الا التيمن برأيه ومعرفته بالحرب وكان

شيخا مجربا .



ولما أجمع مالك السير الى النبي ، حط مع الناس أموالهم ونساءهم

وأبناءهم ، فأنكر عليه دريد وقال أين مالك ؟ قيل هذا مالك ، فقال له :

يا مالك انك قد أصبحت رئيس قومك ، وإن هذا يوم كأن له ما بعده

من الأيام ، مالى أسمع رغاء البعير ونهاق الحمير وبكاء الصغير ويعار النساء؟ قال سقت مع الناس أموالهم وأبناءهم ونساءهم ، أردت أن أجعل خائف كل رجل منهم أهله وماله يقاتل عنهم ، فقال فى سخط . وهل يرد المنهزم شىء؟ إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه ، وإن كانت عليك فضحت فى أهلك ومالك ، ثم نصحه فلم ينفع فيه النصح ، وقال والله لا أفعل ذلك ، إنك قد كبرت وكبر عتلك ، وهدد هوزان بأن ينتحر إذا لم يطيعوه . كره أن يكون لدريد فيها ذكر ورأى ، فقالوا لئن عصينا ليقتلن نفسه وهو شاب ، ونبقى مع دريد وهو شيخ كبير لا قتال معه

فلما سمع النبي أرسل اليهم من يجيئه بخبرهم فعاد اليه بأنهم اجتمعوا له ، فأجمع المسير اليهم ، وذكر له أن عند صفوان بن أمية أدرعاً وسلاحاً ، وهو يومئذ مشرك ، فاستعار منه النبي فأعاره مائة درع بما يكفيها من السلاح ، وطلب منه أن يكفيهم حملها ففعل - وخرج النبي ومعه ألفان وهم المطلقاء من أهل مكة ، مع عشرة آلاف من الصحابة ، ولما اجتمعوا أعجبتهم كثرتهم وقال قائمهم : لن نغلب اليوم من قلة ، ثم ركب النبي بغلته ولبس درعين والمغفر والبيضة ومضى يريد لقاء هوازن ، قال جابر ابن عبد الله : فلما استقبلنا وادى حنين انحدرنا فى واد من أودية تهامة أجوف ذى خطوط ، إنما تنحدر فيه انحداراً ، وكان فى عمية الصبح وكان القوم قد سبقونا إلى الوادى فكفونا لنا فى شعابه وأحنائه ومضايقه ، وقد اجتمعوا وتهيئوا وأعدوا ، فوالله ما راعنا ونحن منحطون إلا الكتاب قد شدوا علينا شدة رجل واحد ، وكانوا رماة ، فانشمر الناس

راجمين ، لا يلوي أحد إلى أحد ، وانحاز النبي ذات اليمين . لم يثبت معه إلا العباس وعليّ والفضل وأبو سفيان بن الحرث وأبو بكر وعمر وأسامة ، في أناس من أهل بيته وأصحابه ، وهم جميعا نحو مائة ، فقل النبي : إلى أين أيها الناس؟ هلم إليّ ، أنا رسول الله ، أنا محمد بن عبد الله - فلا شيء ، حملت الأبل بعضها على بعض ، فلما هزم الناس ، ورأى من كان معه من جفاة أسل مكة الهزيمة ، تكلم رجال منهم بما في أنفسهم من الضغن ، فقال أبو سفيان : لا تنتهي هزيمتهم دون البحر - وصرخ جبلة أخو صفوان بن أمية لأمه وهو مشرك : ألا بطل السحر اليوم - فقال له صفوان أسكت فض الله فك ، لأن يرني رجل من قريش أحب الي من أن يرني رجل من هوازن

وأرد أحد بني عبد الدار قتل النبي في هذه الفرصة ، أخذنا بتأر أبيه الذي قتل يوم أحد فلم يطق

فأما رأى النبي أن الناس لم يعودوا قال يا عباس اصرخ : يا معشر الأنصار ، يا معشر أصحاب السمره ، فاجابوا يالبيك يالبيك وتراجعوا ، حتى أن الرجل منهم ليثني بعيره فلا يقدر على ذلك ، فيأخذ درعه فيقذفها في عنقه ويأخذ سيفه وترسه ويقتحم عن بعيره ويخلى سبيله فيؤم الصوت ، حتى ينتهي إلى النبي ، فأمرهم أن يصدقوا الحملة على المشركين ، فامتلوا وقاتلوا ورسول الله ينظر إلى مجتلد القوم وهم يجتلدون فقال الآن حمى الوطيس ( ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها ) فما هو إلا أن هزم الله المشركين وأمكن رسوله منهم ، وافاء عليهم أموالهم ونساءهم وابنائهم

ورب قائل ما شأن هذه الاغاثة من الله (ولو شاء الله لانتصر منهم) ولا داعى الى هذه الدماء التى تراق ، والجواب يتبين من قوله تعالى (ولكن ليبار بعضكم ببعض) وقوله فى آية اخرى (وانيلونكم حتى تعلم المجاهدين منكم والصابرين) وكفى

ولما انهزم المشركون فى حنين أتوا الطائف، ومعهم مالك بن عوف، وعسكر بعضهم بأوطاس، وتوجه بعضهم نحو نخلة، فتبعمت خيل النبي من سلك فى نخلة، وأدرك دريد بن الصمة وقتل، قتله أحد بنى سليم.

غزوة أوطاس - ثم بعث النبي فى آثار من توجه قبل أوطاس وهو واد فى ديار هوزان غير وادى حنين - أبا عامر الأشعري فأدرك بعض من انهزم، فناوشوه القتال، فقتل أبو عامر منهم تسعة إخوة مبارزة ثم رمى فقتل، فأخذ الراية ابن أخيه أبو موسى الأشعري، فقاتلهم ففتح الله على يديه وهزمهم.

وكان مالك بن عوف عند الهزيمة قد خرج، فوقف فى فوارس من قومه على ثنية الطريق وقال لأصحابه قفوا حتى تمضى ضعفائكم ويتتمام آخركم، فانتهى الزبير بن العوام إلى أصل الثنية فصمد لهم فلم يزل يطاعنهم حتى أراحهم عنها.

وسبى رجل من بنى سعد بن بكر فساقه الناس فى أهله وساقوا معه الشيماء بنت الحرث بن عبد العزى أخت النبي من الرضاع. فعرفتهم هذه الصلة، فلم يصدقوها حتى أتوا بها النبي، فقالت له إني أختك من الرضاعة، وأرته علامة فصدقها، وبسط لها رداءه وأجاسها عايبه وخيرها وقال: ان أحببت فعندى محبة مكرمة، وإن أحببت ان أمتعك

وترجعى الى قومك فعلمت ، قالت بل تمتعنى وتردنى الى قومى ، فاسامت  
فقال لها ارجعى الى الجعرانة تكوينين مع قومك فانى اَمْضى الى الطائف  
فرجعت اليها ووافها بها فاعطاها نعماء وولن بقى من أهل بيتها  
ثم جمعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا حنين ، وأموالها فأمر بها الى  
الجعرانة فخبست بها . ولما ورد صلى الله عليه وسلم الجعرانه اقبلت امرأة بدوية فلما  
دنت منه بسط لها رداءه فقيل من هذه قالوا : أمه التى أرضعته .

ولما أراد صلى الله عليه وسلم الطائف أرسل الطفيل بن عمرو الدوسى ليهدم ذا  
الكفين (صنم رئيس دوس وهو عمرو بن حنمة) ويوافيه بالطائف ، فذهب  
مسرعاً وحرقه ووفى رسول بالطائف فى اربعمئة من قومه فأسلموا .

### غزوة الطائف

بلد كبير كثير الاعناب والفواكه ، على ثلاث مراحل من مكة من  
شرفيها . واسم الارض وج .

لما قدم فنل ثقيف الطائف دخلوا حصنهم فرموه وأغلقوا عليهم  
أبوابه ، وصنعوا الصنائع ؛ فأدخلوا ما يصلحهم من القوت لسنة  
وتهيئوا للقتال ؛ فاعدوا سكاكاً من حديد ؛ وجمعوا حجارة كبيرة ،  
وأمروا سرحهم أن يرتع فى موضع يأمنون فيه ، وقاموا على حصنهم  
بالمسلاح والرجال .

وسار رسول الله اليهم فى شوال سنة ثمان ، وجعل خالداً على  
مقدمته ، وأمر بحصن مالك بن عوف فهدم ، ثم مضى حتى نزل قريباً  
من الطائف فضرب بها عسكره ، فقتل ناس من أصحابه بالنبل ؛ لقرب  
العسكر من حائط الطائف ؛ ولم يقدر المسلمون على اقتحام الحائط

عليهم لأنهم أغلقوه دونهم ورموهم ، فتباعد النبي بالعسكر قليلا ،  
وحاصر أهل الطائف بضع عشرة ليلة -- ورماهم بالمنجنيق ، وهو أول  
منجنيق رحى به في الاسلام ، قدم به الطفيل من ذى الكفين ، ودخل  
نفر من الصحابة تحت دبابه ، ثم زحفوا بها الى جدار الطائف ليحرقوه ،  
فأرسلت عليهم ثقيف السكك حجارة بالنار ، فخرجوا من تحتها ، فرمتهم  
ثقيف بالنبل فقتلوا منهم رجالا -- فأمر النبي بقطع أعناب ثقيف فوقع  
الناس فيها يقطعون قطعاً ذريماً ، فسألوه أن يدعها لله وللرحم ففعل .  
لأن احدى جداته العليا لأمه من ثقيف .

ثم نادى متأديه ﷺ : ايما عبد نزل من الحصن وخرج الينا فهو  
حر ، فخرج منهم بضعة عشر رجلا ، فيهم أبو بكر فاعتقههم رسول  
الله ودفع كل رجل منهم الى رجل من المسلمين يمونه ، فشق ذلك على  
أهل الطائف مشقة شديدة .

ثم جاء رسول الله الوحي من السماء بالانصراف عن الطائف بعد  
حكاية لابس بسردها وهي : أن خويلة بنت حكيم بن أمية السامية ،  
امرأة عثمان بن مظعون قالت : يارسول الله أعطني ان فتح الله عليك  
حلي بادية بنت غيلان النقي أو الفارعة بنت عقيل ، وكاتما من أحلى  
نساء ثقيف ، فقال لها : وإن لم يؤذن لي في ثقيف ياخويلة ، فخرجت  
فذكرت ذلك لعمر ، فدخل فسأل رسول الله عما تقوله خويلة ، فقال  
قد قلتها ، قال أو ما أذن لك فيهم ؟ قال : لا قال : أفلا أؤذن في الرحيل ؟  
قال : بلى ، فأذن عمر بالرحيل فضج الناس من ذلك فقال ﷺ فاعمدوا  
على القتال ، فعدوا فاصاب المسلمين جراحات فقال إنا قافلون إن شاء

الله، ففسروا بذلك واذعنوا، فتبسم ﷺ عجباً من تغير رأيهم، وقال له رجل من أصحابه يوم ظمن: يا رسول الله أدع عليهم فقال ﷺ: « اللهم أهد ثقيفنا واثت بهم مسامين ». فاستجاب الله دعاءه كما ستري

### أموال هوازن وسباياها

نزل النبي الجعرانة آتياً فيمن معه من الناس وفيها من هوازن سبي كثير، ستة آلاف من الذراري والنساء، ومن الابل والشاء ما لا يدري ما عدته قيل: الابل ٢٤٠٠٠ بعير، الغنم أكثر من ٤٠٠٠٠، الفضة ٤٠٠٠ أوقية، واستأني بهوزان أن يقدموا عليه مسامين بضع عشرة ليلة، ثم بدأ بقسم الأموال فقسمها، فجاءه وفد هوازن وقد أساموا، فقالوا يا رسول الله: إنا أصل وعشيرة، وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك، فامنن علينا من الله عليك، ثم قام رجل منهم فقال يا رسول الله انما في الحظائر عماتك وخالاتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك، ولو أنا ملحننا (أرضعنا) للحرث من أبي ثمر أو للنعمان بن المنذر، ثم نزل بنا عئل الذي نزلت به، رجونا عطفه ومائدته علينا، وأنت خير المكفولين.

فقال لهم النبي: أبناءكم ونساءكم أحب إليكم أم أموالكم؟ فقالوا بل ترد أبناءنا ونساءنا فهو أحب إلينا، فقال لهم أما ما كان لي ولبنى عبد المطلب فهو لكم، وإذا ما أنا صليت الظهر بالناس فقوموا فقولوا: أنا نستشفع برسول الله إلى المسامين، وبالمسامين إلى رسول الله، في أبناءنا ونساءنا، فأعطيكم عند ذلك وأسأل لكم، ففعلوا، فتنزل رسول الله عماله ولبنى عبد المطلب فقال المهاجرون: وما كان لنا فهو لرسول الله

وقالت الانصار : وما كان لنا فهو لرسول الله ، فقال الافرع بن حابس : أما  
أنا وبنو تميم فلا ، وقال عيينة بن حصن أما أنا وبنو قزارة : فلا ، وقال  
عباس بن مرداس : أما أنا وبنو سليم فلا ، فقال بنو سليم بلى ، ما كان  
لنا فهو لرسول الله ، فقال عباس وهنتموني ، فقال رسول الله ﷺ أما  
من تمسك منكم بحقه من هذا السبي ، فله بكل انسان ست فرائض من  
أول سبي أصيبه ، فردوا إلى الناس أبناءهم ونساءهم ، ففعلوا حتى عيينة  
ابن حصن . وقال النبي لو فدهوا زن - وسألتهم عن مالك بن عوف ما فعل -  
فقالوا هو بالطائف مع ثقيف ، فقال أخبروه أنه إن أتاني مسالما رددت  
إليه أهله وماله وأعطيته مائة من الابل ، فأتى من الطائف وقد خاف من  
ثقيف أن يحبسوه إذا علموا أن النبي قال في شأنه ما قال ، فخرج ليلا على  
فرسه ، وأدرك رسول الله بالجعرانة ، فرد عليه أهله وماله ، وأعطاه  
مائة من الابل ، وأسلم فحسن إسلامه

ولما فرغ النبي من رد سبايا حنين إلى أهلها ، ركب واتبعه الناس  
يقولون يا رسول الله اقمهم علينا فيئتنا من الابل والغنم ، فما زالوا به حتى  
رضى ، فأعطى المؤلفة قلوبهم وكانوا أشرافا من أشراف الناس يتألفهم  
ويتألف بهم قومهم ، فأعطى أبا سفيان بن حرب مائة بعير ، وكذلك  
الحارث بن كلدة من بني عبدالدار ، والحارث بن هشام ، وسهيل بن عمرو ،  
والافرع بن حابس ، ومالك بن عوف ، وصدفوان بن أمية ، وعيينة بن  
حصن ، ثم أعطى آخرين دون المائة ، وأعطى عباس بن مرداس أباعر  
فسخطها وعاتب النبي فيها بقصيدة : فقال رسول الله : أذهبوا به فاقطعوا  
عنى لسانه ، فاعطوه حتى رضى ، فكان ذلك قطع لسانه الذي أمر به رسول الله

وقال قائل للنبي : أعطيت عيينة والاقرع مائة ، وتركت جعيل بن سراقه الضمري ، فقال تألفتكما ليساما ، ووكات جعيل بن سراقه إلى إسلامه وجاء ذواخو بصرة التميمي فوقف على النبي وهو يعطى الناس فقال : لم أرك عدلت ، فغضب النبي عليه السلام واستأذن عمر في قتله ، فهاه النبي وقال دعه فإنه سيكون له شيعة يتعمقون في الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية . فظهر صدق هذا الحديث في الخوارج فكان بدؤهم من ذى الخويصرة .

ولما أعطى الرسول ما أعطى في قريش وقبائل العرب ، ولم يعط الانصار شيئا ، وجد الانصار في نفوسهم ، وقالوا سيوفنا تقطر من دماهم ، وغنائمنا تقسم فيهم ، وظنوا أن رسول الله إذ فتح مكة بلاده ، وجمع على الدين قومه ، سيقم بأرضه ، وقال حسان من قصيدة يعاتبه فيها

علام تدعى سليم وهى نازحة      قدام قوم هم آوواوهم نصروا  
سماهم الله أنصارا بنصرهم      دين الهدى وعوان الحرب تستعر  
ووجد الانصار في أنفسهم ، حتى كثرت منهم المقالة ، وقال قائلهم :  
لقى والله رسول الله قومه

ودخل عليه سعد بن عبادة فقال : يا رسول الله ، ان هذا الحى من الانصار قد وجدوا عليك في أنفسهم ، لما صنعت في هذا النى الذى أصبت ، قال فأين أنت من ذلك يا سعد ؟ قال يا رسول الله ما أنا إلا من قومي ، قال فاجمع لى قومك فى هذه الخطيرة ، فاتاهم رسول الله فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال يا معشر الانصار ، ماقالة بلغتني عنكم ، وجدة وجدتموها على في أنفسكم ؟ ألم آتكم ضلالا فهداكم الله بي ، وعالة فأغناكم

الله بي ، وأعداء فألف الله بين قلوبكم بي ؟ قالوا : بلى ! الله ورسوله أمان  
وأفضل ، قال ألا تحيىبونني يامعشر الانصار ؟ قالوا بماذا نجيبك يا رسول  
الله ؟ قال : أم والله لو شئتم لقتلتم فصدقتهم ، أتيتنا مكذبا فصدقتنا :  
ومخذولا فنصرناك ، وطريداً فأوينناك ، وعائلاً فأسينناك ، وأوجدتم  
يامعشر الانصار في أنفسكم في لعاعة من الدنيا تألفت بها قوم ليسواوا ،  
ووكلتكم إلى إسلامكم ؟ ألا ترضون يامعشر الانصار أن يذهب الناس  
بالشاة والبعير ، وترجعوا برسول الله إلى رحالكم ؟ فوالذي نفس محمد بيده  
لولا الهجرة لكنت امرأ من الانصار ، ولو ملك الناس شعباً وسلكت  
الانصار شعباً لسلكت شعب الانصار ، اللهم ارحم الانصار وأبناء الانصار ،  
فبكى القوم حتى اخضوا لحامهم وقالوا : رضينا برسول الله قسماً وحظاً .  
وانصرف رسول الله من الجعرانة معتمراً ، وأمر بحبس النبي  
بناحية مر الظهران حتى أتم عمرته ، وخرج راجعاً إلى المدينة ، واستخلف  
على مكة عتاب بن أسيد ، وجعل رزقه كل يوم درهما ، فخطب في الناس  
فقال : أجاج الله كبد من جاع على درهم ، فقد رزقني رسول الله درهما  
كل يوم فليست بي حاجة إلى أحد  
وقدم رسول الله المدينة لست بقين من ذى القعدة ، أي بعد أن  
غاب عنها شهرين وستة عشر يوماً ، وأقام أهل الطائف على شركهم  
وأمتناعهم في طائفهم إلى شهر رمضان من سنة تسع  
ثم أرسل السرايا إلى جهات مختلفة ومنها سرية على لهدم صنم طيء  
فهدمه وعاد بالسبي وكان في السبي سَفَّانة أخت عدي بن حاتم فاطلقها  
النبي فكان ذلك سبب اسلام عدي كما سيجيء

## أسلام كعب بن زهير

لما قدم النبي من الطائف كتب بجير بن زهير إلى أخيه كعب يخبره  
أن الرسول قتل رجلاً بمكة ممن كان يهجوّه ويؤذيه ، وإن من بقى من  
شعراء قريش قد هربوا في كل وجه ، فإن كانت لك في نفسك حاجة ،  
فقطر إلى رسول الله ، فإنه لا يقتل أحداً جاءه تائباً ، وإن أنت لم تفعل  
فأج إلى نجاتك من الأرض ، فكتب كعب إلى أخيه يؤنبه على اتباعه  
النبي ، فلم يهتم بجير أن أخبر النبي ، وكتب إلى كعب قصيدته التي منها

من مبلغ كعباً فهل لك في التي تلوم عليهم - باطلا وهي أحزم

إلى الله ، لا العزى ولا اللات ، وحده فتنبجو إذا كان النجاء وتسلم

فدين زهير وهو لأشياء دينه ودين أبي سلمى على محرم

فأما وصل كتاب بجير إلى كعب ، ضاقت به الأرض ، وأشفق  
على نفسه ، وأرجف به من كان في حضره (حيه) من عدوه ، فقالوا  
هو مقتول ، فأما لم يجد بداً قال قصيدته بانث سعاد ، وخرج حتى قدم  
المدينة ، فنزل على رجل من جهينة كانت بينه وبينه معرفة ، فغداً به  
إلى رسول الله حين صلى الصبح فصلى معه ، ثم أشار له إلى الرسول  
وقال : قم إليه فاستأمنه ، فقام فوضع يده في يد النبي ، فقال يارسول الله ،  
إن كعب بن زهير قد جاء ليستأمنك تائباً مسلماً ، فهل أنت قابل منه  
إن أنا جئتك به ؟ فقال رسول الله نعم ، فقال أنا يارسول الله كعب بن  
زهير ، فوثب عليه رجل من الانصار وقال : يارسول الله دعني وعدو  
الله أضرب عنقه ، فقال رسول الله عنه فإنه قد جاء تائباً نازعاً عما كان  
عليه — فغضب كعب على هذا الحى من الانصار لما صنع به صاحبهم ،

وذلك أنه لم يتكلم فيه رجل من المهاجرين إلا بخير ، فخصهم بمدحتهم  
ففضب الانصار ، فقال بعد أن أسلم فيهم قديته التي أولها

من سره كرم الحياة فلا يزل في مقنب من صالحى الانصار  
ورثوا المكارم كبراً عن كبر إن الخيار هو بنو الاخيار

يمدحهم ويذكر بلائهم مع رسول الله وموضعهم من اليمن

### غزوة تبوك

وهى غزوة العسرة وتسمى الفاضحة ، لافضاح المنافقين فيها  
كانت تبوك سنة تسم ، وبيانها أن رسول الله أقام بالمدينة بعد  
عودته من الطائف الى رجب ، ثم أمر الناس بالتهيؤ لغزو الروم ، وذلك  
في زمن عسرة من الناس وشدة من الحر ، وجذب من البلاد ، وحين  
طابت الثمار ، والناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم ، ويكرهوا الشخوص  
على الحال من الزمان الذى هم عليه — وكان رسول الله قاماً يخرج في  
غزوه الاكثى عنها ، وأخبر أنه يريد غير الوجه الذى يصمد إليه ، إلا ما  
كان من غزوة تبوك فانه يبينها للناس ، لبعده الشقة ، وشدة الزمان ،  
وكثرة العدو الذى يصمد اليه ليتأهب الناس لذلك أهبطه

وسببها أنه بلغ رسول الله من الانباط الذين يقدمون بالزيت من  
دمشق إلى المدينة ، أن الروم تجمعت بالشام مع قيصر ، وأنه رزق  
أصحابه لسنة « وأجلبت معهم لحم وجذام وعاملة وغسان وغيرهم  
من متنصرة العرب ، وجاءت مقدمتهم الى البلقاء ، ولم يك لذلك حقيقة ،  
وقيل أن نصارى العرب كتبوا إلى هرقل : أن الرجل الذى خرج  
يدعى النبوة هلك وأصابتهم سنون ، فهلكت أموالهم ، فان كنت تريد

ان تلحق دينك فالآن ، فبعث هرقل رجلا من عظمائهم ووجهز معه أربعين ألفا فبلغ ذلك النبي ولم يكن للناس قوة ، وقيل في سببها إن الله لما منع المشركين من قرب المسجد الحرام في الحج وغيره ، قالت قريش لتقطعن عنا المتاجر والأسواق ، وليذهبن ما كنا نصيب منها ، فعوضهن الله بقتال أهل الكتاب وأمرهم بذلك في قوله يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار ، فعزم النبي على قتال الروم لأنهم أقرب إليه وأولاهم بالدعوة الى الحق .

فعند ذلك نذب الناس وأمرهم بالجهاز ، وأخبرهم أنه يريد الروم ، وأخذ يستعد ، وقال لاجد بن فليس : هل لك العام في جلاذني الأصفر ؟ فقال يا رسول الله ائذن لي ولا تفتني ، يريد أن يتخلف لئلا يفتن بنساء الروم وليس ذلك به - وقال قوم من المنافقين بعضهم لبعض : لا تنفروا في الحر ، فنزل قول الله ( قل نار جهنم أشد حرا . )

وبلغ النبي أن قوما من المنافقين يجتمعون في بيت أحد اليهود يثبطون الناس ، فأمر بأن يحرق عليهم ، ثم جد النبي في سفره ، وحض أهل الغنى على النفقة والحملاان في سبيل الله ، فحمل رجال من أهل الغنى واحتسبوا ، وأنفق عثمان بن عفان في ذلك نفقة عظيمة لم ينفق أحد مثلها ، فحمل على ألف بعير وسبعين فرسا ، وجهز ثلث الجيش كله وكان عشرة آلاف ، وتصدق أبو بكر بماله كله وهو أربعة آلاف ، وعمر بنصف ماله ، وتصدق غيرهم من الصحابة بما استطاعوه ، وأرسل عليه السلام الى مكة وقبائل العرب يستنفرهم :

وجاء سبعة نفر من الأنصار وغيرهم - وهم البكاعون - وكانوا

أهل حاجة فاستحملوا؛ فقال لهم : لا أجد ما أحملكم عليه ، فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون

ثم جاءه المعذرون من الأعراب فاعتذروا فلم يعذرهم الله تعالى وهم اثنان وثمانون من بني غنار ، أو من غطفان وأسد ، وقعد آخرون من المنافقين بغير عذر ولا أظهار علة جراءة على الله ورسوله

ثم استتب برسول الله سفره وأجمع السير ، وابطأت بجاعة من أصحابه نيتمهم ، فتخلفوا من غير شك ولا ارتياب ، وكانوا نفر صدق لا يتمون في اسلامهم ، أما النبي فخرج وعسكر في ثنية الوداع بثلاثين ألفا ،

وخرج مع النبي عبد الله بن أبي في عسكر منفردا ، ولم يك أقل العسكرين ، فلما سار رسول الله تخلف عنه في المنافقين وأهل الريب أما علي بن أبي طالب فقد تخلف بأمر النبي على أهله ، فأرجف به المنافقون ، وقالوا ما خلفه إلا استثقالا له وتخففا منه ، فسارع بسلاحه الى رسول الله وأخبره بما يقول المنافقون في شأنه ، فقال له ارجع فاخافني في أهلي وأهلك ، أفلا ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي ؟ فرجع ، وبهذا يستدل الشيعة على أن عليا أولى بالخلافة بعد رسول الله . فهل كان هرون خليفة موسى من بعده ؟ لا ، إنما كان يستخلفه عند ما يذهب الى مناجاة ربه وهو حي ، فلاحجة فيه وسار رسول الله وخلق به في الطريق وفي تبوك من كان قد أبطأ عن مرافقته من أصحابه الخالصين ، ونهى النبي أصحابه عن أن يشربوا من مياه الحجر بأرض تمود ، أو يتوضئوا منها للعلالة ، وإن عجنوا

بمائها جعلوه علفا للماشية ، وربما كان ذلك منه : لأن ماء الحجر يطول  
مكثته في عيونه فهو آسن موبوء ، يصيبهم اذا شربوا منه المرض في  
ابدانهم ، أو خشية أن يورثهم شره قسوة في قلوبهم .

ثم نهاهم أن يدخلوا بيوت هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم قال الاوانم  
باكون ، لئلا يصيبكم مثل ما أصابهم ؛ ووجه الخوف أن البكاء يبعث  
على التفكير والاعتبار بهؤلاء الذين بدلوا نعمة الله كفرا .

ومضى رسول الله فجعل يتخلف عنه الرجل فيقولون له تخلف  
فلان فيقول : دعوه ، فان يك فيه خير ، فسيأخذه الله بكم ، وان يك  
غير ذلك ، فقد أراحكم الله منه ، حتى قيل : يارسول الله قد تخلف  
أبو ذر وأبطاء بعيره ، وكان أبو ذر لما أبطأ بعيره ، اخذ متاعه فجعله  
على ظهره ، ثم خرج يتبع اثر الرسول ماشيا ، ونزل رسول الله في  
بعض منازلها ، فنظر ناظر من المسامير فقال يارسول الله ان هذا الرجل  
يمشى على الطريق وحده ، فقال رسول الله ﷺ كن أباذر (أى اتصف  
بكونك أباذر . أو من قبيل الدعاء كما تقول : اسلم أى سلمك الله  
ويكون معناها اللهم اجعله أباذر وقيل معناه : انت ابو ذر ) . فلما  
تأمله القوم قالوا : يارسول الله هو والله أبو ذر فقال : رحم الله أباذر  
يمشى وحده ، ويموت وحده ، ويبعث وحده ،

ثم انتهى رسول الله إلى تبوك فأتى يُحَسِّنُه بن رؤبة صاحب أيلة ،  
فصالحه النبي على الجزية . وكتب لهم كتابا ، ويظهر أن تبوك كانت  
من توابع أيلة ، وكذلك صالحه أهل جرباء وأذرخ ، وهما بلدان بالشام  
بينهما ثلاثة أميال ، ووجد هرقل بحمص - دارمكة - لم يتحرك ولم

يرد ذلك ولا هم به ، فكان الذي وصل إلى رسول الله من تعبئته أصحابه  
ودنوه إلى الشام باطلا

### أكيدر دومة الجندل

ثم أرسل رسول الله خالد بن الوليد إلى أكيدر دومة الجندل ،  
وهو نصراني من كندة ، كان ملكا عليهما من قبل هرقل هو وآخر ،  
وكان نصرانيا ، فقيه خالد في خيل النبي ، ومعه أخوه حسان في نفر من  
أهل بيته قد خرجوا لصيد البقر ، فاستأسر أكيدر ، أعطى بيده ولم  
يقاتل ، وقتل أخوه حسان لأنه قاتل ، وقد كان عليه قباء من ديباج  
مخوص بالذهب ، فاستلمه خالد فبعث به إلى النبي قبل قدمه باكيدر  
عليه وهرب من كان معها فدخل الحصن ثم اجار خالد أكيدر من القتل  
حتى يأتي به رسول الله على أن يفتح له دومة ففعل وصالحه على الف بعير  
وثمانمائة فرس واربعائة درع واربعائة رمح

ثم قدم به على الرسول فحقت له دمه وصالحه على الجزية ، ثم خلى  
سبيله فرجع إلى قريته ، ثم نقض بعد وفاة رسول الله ، فكان له شأن  
مع خالد وعيائن بن غنم عند فتح العراق  
عود - وأقام رسول الله بتيبوك بضع عشرة ليلة وانصرف إلى المدينة  
وفي هذه الغزوة كتب رسول الله كتابا إلى هرقل غير الذي كتبه مع  
دحية مدة الهدنة ، فقارب الاجابة ولم يجب خوفا على ما ملكه

### مسجد الضرار

ولما نزل رسول الله بنى أوان وهي بلدة بينها وبين المدينة ساعة  
من نهار ، وكان أصحاب المسجد قد أتوه وهو مجهز الى تيبوك فقالوا

بيننا مسجداً لدى العلة والليلة المطيرة ، وإنا نحب أن تأتينا فتصلي لنا فيه ، فقال إني على جناح سفر ، ولو قدمنا إن شاء الله لا تيناكم فصاينا لكم فيه فلما نزل بنى أوان أتاه خبر المسجد من السماء ، فقال لاثنين من أصحابه انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله ، فاهدماه وحرّقه ففعلا ، ونزل فيه قوله تعالى « والذين اتخذوا مسجداً ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون » وكانوا اثني عشر رجلا اجمعوا بناءه يضارون به مسجد قباء ، وقالوا : نقييل فيه فلا نحضر خلف محمد

### بقية حديث تبوك

ولما عاد رسول الله كان قد تخلف عنه رهط من المنافقين ، فجاءوا فخانوا فعذرهم واستغفر لهم ووكّل أمر سرّهم إلى الله ، وارجأ أمر ثلاثة رهط من المسلمين كانوا قد تخلفوا من غير شك ولا نفاق ، وقال لأصحابه : لا تكلمن أحدا من هؤلاء الثلاثة ، وهم كعب ابن مالك ، ومرارة بن الربيع ، وهلال بن أمية وكانهم من الأنصار ، فاعتزلهم المسلمون وتغيروا لهم ، حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم ، وظنوا ألا ملجأ من الله إلا إليه ، وقد ظلوا في ذلك خمسين ليلة حتى آذن رسول الله الناس بتوبة الله عليهم في قوله لقد تاب الله على النبي ... إلى قوله وعلى الثلاثة الذين خلفوا ، فذهب الناس يبشرونهم . هلاك رأس المنافقين — وبعد الانصراف من تبوك ، هلك عبد الله بن أبي ، وجاء ابنه عبد الله الصحابي الجليل فسأله

ﷺ أن يعطيه قبضه ، يكفن فيه أباه ، ثم سأله أن يصلي عليه ، فاعترضه عمر ، فإني يأخذ بقوله ، وصلي عليه اكراما لوالده ، واستئلافا لقومه ، ثم انزل الله تعالى ( ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره )

### أمر ثقيف وإسلامها

وقدم النبي ﷺ من تبوك في رمضان ، وقدم عليه في ذلك الشهر وفد ثقيف .

وكان من حديثهم أن رسول الله لما انصرف عنهم اتبع أثره عروة ابن مسعود قبل أن يصل المدينة ، فأسلم وسأله أن يرجع إلى قومه بالاسلام فقال له : انهم قاتلوك ، إذ عرف أن فيهم نخوة الامتناع الذي كان منهم ، فقال عروة : أنا أحب اليهم من أبقارهم ، وكان فيهم محببا مطاعا ، فخرج يدعو قومه إلى الاسلام رجاء ألا يخذلوه لمنزلته فيهم ، فاما أشرف لهم على عليه له وقد دعاهم إلى الاسلام ، وأظهر لهم دينه ، رموه بالنبل من كل وجه ، فأصابه سهم فقتله ، وقيل له ما ترى في دمك ؟ قال : كرامة أكرمني الله بها ، وشهادة ساقها الله إلى ، فليس في إلا ما في الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله قبل أن يرتحل عنكم . فادفنوني معهم ، فدفنوه معهم .

أقامت ثقيف بعد قتل عروة أشهرا ، ثم أنهم ائتمروا بينهم ودأوا أنه لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب وقد بايعوا وأسماوا وقال بعض ثقيف لبعض : أغلاترون أنه لا يأمن لكم سرب ، ولا يخرج منكم أحد إلا اقتطع ، وأجمعوا أن يرسلوا إلى رسول الله رجلا ، فكاموا عبد ياليل بن عمرو ، وكان من سن عروة فأبى ، وخشى أن يُصنع به إذا

رجع كما صنع بعروة ، فقال : لست فاعلا حتى ترسلوا معي رجالا ، فأجمعوا أن يعينوا معه رجلا من الاحلاف ، وثلاثة من بني مالك ، فيكونوا ستة ، فخرج بهم سيد يابل وهو فاب القوم وصاحب أمرهم ، وانما خرج بهم لكي يشغل كل رجل منهم إذ رجعوا إلى الطائف رهطه ؛ فلما دنوا من المدينة ونزلوا قناة ، ألفوا بها المغيرة بن شعبه يرضى في نوبته ركاب رسول الله ؛ فلما رأهم ترك الركاب عندهم ، وأسرع ليبشر النبي بقدمهم عليه ، فلقى أبو بكر قبل أن يدخل على النبي ، فأخبره عن ركابهم أن قد قدموا يريدون البيعة والاسلام ، بأن يشترط لهم الرسول شروطا ويكتبوا منه كتابا في قومهم وبلادهم وأموالهم ؛ فقال أبو بكر أقسمت عليك بالله لا تسبقني إلى النبي ، حتى أكون أنا أحدثه ، ففعل المغيرة ، ودخل أبو بكر فأخبره بقدمهم عليه ، ثم خرج المغيرة إلى أصحابه فروح الظاهر معهم ، وعامهم كيف يحيون الرسول فلم يفعلوا إلا بتحية الجاهلية .

ولما قدموا على الرسول ضرب عليهم قبة في ناحية مسجده ، وكان خالد بن سعيد بن العاص هو الذي يمشي بينهم وبينه ، حتى اكتبوا كتابهم وتولى خالد كتب كتابهم بيده ، وكانوا لا يطعمون طعاما يأتيهم من عند النبي حتى يأكل منه خالد ، حتى أساموا وفرغوا من كتابهم .

وقد كانوا سألوا النبي أن يدع لهم الطاغية — وهي اللات — ليهدمها ثلاث سنين فأبى ، فما برحوا يسألونه سنة سنة ويأبى عليهم ، حتى سألوا شهرا واحداً بعد مقدمهم ، فأبى عليهم أن يدعها شيئا مسمى ، وإتايريدون بذلك فيما يظهرون ؛ أن يتسلموا بتركها من سفهائهم ونسائهم

وذرايرهم ، يكرهون أن يروعوا قومهم بهدمها ، حتى يدخلها  
الاسلام ، فأبى الرسول إلا أن يبعث أباسفيان بن حرب والمغيرة بن  
شعبة فيهدماها .

وقد سأله مع ترك الطاغية أن يعفيهم من الصلاة والأيكسروا  
أوثانهم بأيديهم ، فأعفاهم من هذه الاخيرة وقال : أما الصلاة فإنه لاخير  
في دين لا صلاة فيه ، قالوا فسنؤتيكها وإن كانت دناءة .

فأما أساموا وكتب لهم النبي كتابا ، أمر عليهم عثمان بن أبي العاص  
من بني مالك ، وكان من أحسنهم سنا ، ذلك لأنه كان أحرصهم على  
التفقه في الاسلام وتعلم القرآن .

ولما فرغوا من أمرهم وتوجهوا إلى بلادهم ، بعث النبي معهم  
أباسفيان والمغيرة في هدم الطاغية نخرجا ، حتى إذا قدموا الطائف أراد  
المغيرة أن يقدم أباسفيان فأبى عليه وقال : ادخل أنت على قومك ،  
فلما دخل المغيرة علاها يضربها بالمعول ، وقام قومه دونه خشية أن  
يرمى أو يصاب ، كما أصيب عروة ، وخرج نساء ثقيف حمرأ يبيكين  
ويروى أن المغيرة قال لأبي سفيان حين هدمها : ألا أضحكك  
من ثقيف ؟ فقال بلى ، فأخذ المعول وضرب به اللات ، ثم صاح وخر  
على وجهه ، فارتجت الطائف بالصياح ، سرورا بأن اللات قد صرعت  
المغيرة ، وأقبلوا يقولون كيف رأيتها يا مغيرة ؟ دونكها ان استطعت ،  
فقام المغيرة يضحك ويقول لهم . يا خبيثاء والله ما قصدت إلا الهزأ بكم ،  
ثم أقبل على هدمها حتى استأصلها ، ثم أخذ مالها وحليها وأرسله إلى  
أبي سفيان .

وكان أبو مليح بن عروة وقارب بن الأسود من ثقيف قد قدما  
على رسول الله بعد قتل عروة يريدان فراق ثقيف ، وألّا يجامعا على  
شيء أبدا فأسلما ، فلما أسلم وقد ثقيف ورجع ، سأل أبو مليح رسول  
الله أن يقضى عن أبيه عروة ديناً كان عليه من مال الطاغية ، وقال له  
قارب : وعن الأسود يا رسول الله فاقضه ، وعروة والأسود أخوان لأب  
وأم ، فأمر رسول الله أبا سفيان أن يقضى دينهما من مال الطاغية ،  
فقضى عنهما .

وبعد ففي قصة اسلام ثقيف عبرة . إذ ترى من خلالها أن أقوى  
قبائل العرب أصبحت تطلب الاسلام لتحتجى به من اعتداء المعتدين  
( وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله )

سرية عيينة بن حصن الفزاري الى تميم

بعثه رسول الله ﷺ اليهم في سرية ليخزوه في خمسين فارسا ليس  
فيهم انصاري ولا مهاجري ، فهجم عليهم وقد سرحوا مواشيهم ، فاما  
رأوا الجمع ولوا فأخذ منهم أحد عشر رجلاً وعشرين امرأة وثلاثين  
صديداً . فساقهم الى المدينة فأزولوا في دار رملة بنت الحارث ، فقدم فيهم  
عدة من رؤسائهم مثل عطارد بن حاجب والزبيرقان بن بدر وقيس بن  
عاصم والاقرع بن حابس ، فلما رأوا نساءهم وذراتهم بكوا اليهم ،  
فمجلوا فجاءوا باب النبي فنادوا من وراء الحجرات يا محمد اخرج الينا وأنزل الله  
فيهم قوله ( ان الذين ينادونك من وراء الحجرات ) . الآية ، فخرج فتملقوا به  
يكلمونه ، فوقف معهم ثم مضى فصلى الظهر ، ثم جلس في صحن المسجد فقدموا  
عطارد بن حاجب فتكلم وخطب ، فأمر رسول الله ﷺ قيس فأجابهم

فرد عليهم النبي الاسرى والسبي ، فقام الزبير بن بدر فأشده مفاخرًا  
قصيدته التي أولها .

نحن الكرام فلاحى يعادلنا منا الموك وفينا تنصب البيع  
فقام حسان بن ثابت فأجابه على البديهة بقصيدته التي أولها :

إن الدواب من فهر واخوتهم قد بينوا سنة للناس تتبع  
فأما فرخ حسان قال الأقرع بن حابس : إن هذا الرجل لمؤتى له ،  
لخطيبه أنخطب من خطيبينا ، ولشاعره أشعر من شاعرنا ، ولاصواتهم  
أعلى من أصواتنا ، ثم أسلموا فأبازم رسول الله فاحسن جوائزهم .

حجج المسلمين وأنذار المشركين بمسورة براءة

كان رسول الله حين قدم من تبوك قد ذكر مخالطة المشركين للناس  
في حجهم ، وتلبيتهم بالترك ، وعلو افهم عرارة بالبيت ، وكانوا يقصدون  
بذلك أن يعلو فوا كما ولدوا بغير الثياب التي أذنبوا فيها وظلموا ، فابث  
بتمية رمضان وشوال وذا القعدة وأمسك عن الحج في ذلك العام ،  
وبعث أبا بكر أميراً على الحج ليقم للمسلمين حجهم ، وبمسورة براءة  
لينبذ إلى الذين أنكثوا العهد عهدهم ، ويؤجلهم أربعة أشهر ، ليسيروا  
أين شاءوا ، وهم هذا الحى من قريش ، وبنو الدئل من بكر بن عبد مناة ،  
الذين دخلوا في عقد قريش وعهدهم يوم الحديبية ، وليتم العهد لمن لم  
يكن نقض من بني بكر إلى مدته ( فاستقاموا لكم فاستقيموا لهم ) .

وكان بين المشركين وبين النبي من العهد ألا يصدوا عن البيت  
أعدا جاءه ، وألا يخيفوا أعدا في الشهر الحرام ، لكنهم أنكثوا أيمانهم  
من بعد عهدهم وصدوا عن سبيل بيت الله ، بحصر الحجاج والعمار ، ولم

يرقبوا في مؤمن إلا ولاذمة ، فكانوا هم المعتدين ، واستحقوا هذا  
الانذار الذي يعلن أهل الغدر بالغدر (وجزاء سيئة سيئة مثلها) ، وأهل  
الوفاء بالوفاء (ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتاه أجرا عظيما)  
ولما خرج أبو بكر لهذا الغرض أردفه رسول الله بعلي ، فرجع  
أبو بكر وقال : يا رسول الله هل نزل في قرآن ؟ قال لا ، ولكن أردت  
أن يبلغ عني من هو من أهل بيتي ، وهذا مخصوص بالعهود ، فإن من  
عادات العرب الا يتولى العهد وتفضله على القبيلة الا رجل منها ، وعلى  
ذلك كان أبو بكر أمير الحج ، وكان علي تحت إمرته ، يدل على ذلك  
أنه لما دنا علي سمع أبو بكر الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقاة رسول  
رسول الله ، فاما لحقه ، قال : أمير أم مأمور ؟ قال بل مأمور ، ثم مضيا ،  
ولما كان قبيل التروية خطب أبو بكر وحدث الناس عن مناسكهم ،  
وقام على يوم النحر عند جرة العقبة وقال يا أيها الناس اني رسول رسول  
الله اليكم . فقالوا بماذا ؟ فقرأ عليهم ثلاثين أو أربعين آية من صدر  
براءة ، ثم قال أمرت بأربع : الا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ،  
ولا يطوف بالبيت عريان ، ولا يدخل الجنة الاكل نفس مؤمنة ، ومن  
كان بينه وبين النبي عهد فعهدة الى مدته ، ومن لم يكن له عهد فهو الى  
أربعة أشهر . ( فسيحوا في الارض أربعة أشهر - فاذا أنسلخ الاشهر  
الحرم ... )

وكان المشركون اذا سمعوا النداء ببراءة يقولون لعلي : سترون بعد  
الاربعة الأشهر أنه لا عهد بيننا وبين ابن عمك الا الطعن والضرب .  
غير أنهم في هذه المدة رغبوا في الاسلام حتى دخلوا فيه طوعا وكرها ،

وحج رسول الله في العام القابل ، وحج المسلمون معه ، وقد عاد الدين كله واحداً لله رب العالمين . ولم يخرج في حجة الوداع مشرك . وهذا هو سر الانذار بهذه السورة المباركة التي هدمت قوى المشركين وردعتهم ، فرعبوا وأنابوا الى الله ؛ إذ علموا أن لا ملجأ من الله إلا اليه .

### سنة الوفود وهي سنة ٩

لما افتتح رسول الله مكة ، وفرغ من تبوك ، وأسامت ثقيف وبابعت ، ضربت إليه وفود العرب من كل وجه ، وكان ذلك سنة تسع ، وإنما كانت العرب ترخص بالاسلام أمر هذا الحى من قريش وأمر رسول الله ، وذلك أن قريشا كانوا امام الناس وهاديهم . وأهل البيت والحرم ، وصريح ولد اسماعيل بن ابراهيم عايمهما السلام ؛ وقادة العرب لا ينكرون ذلك - وكانت قريش هي التي نصبت لحرب رسول الله وخلافه ، فلما افتتحت مكة ، ودانت له قريش ودوخها الاسلام ، عرفت العرب أنه لا طاقة لهم بحرب رسول الله ولا عداوته ، فدخلوا في دين الله أفواجا ، يضربون اليه من كل وجه كما بينه الله لنبيه في سورة اذا جاء نصر الله والفتح .

وكانت الوفود بعد رجوعه صلى الله عليه وسلم من الجعرانة في آخر سنة ثمان وما بعدها من سنة تسع وعشر . وروى انها ابتدأت بعد غزوة تبوك ، ومجموع ما ذكره أهل السير يزيد على الستين وسنقتصر على ما رأينا أهم فأول الوفود وفد هوازن بالجعرانة وقد سبق بيانه ، ثم وفد ثقيف بعد قدوم النبي من تبوك ، ثم وفد تميم وقد مضى بيانها .